

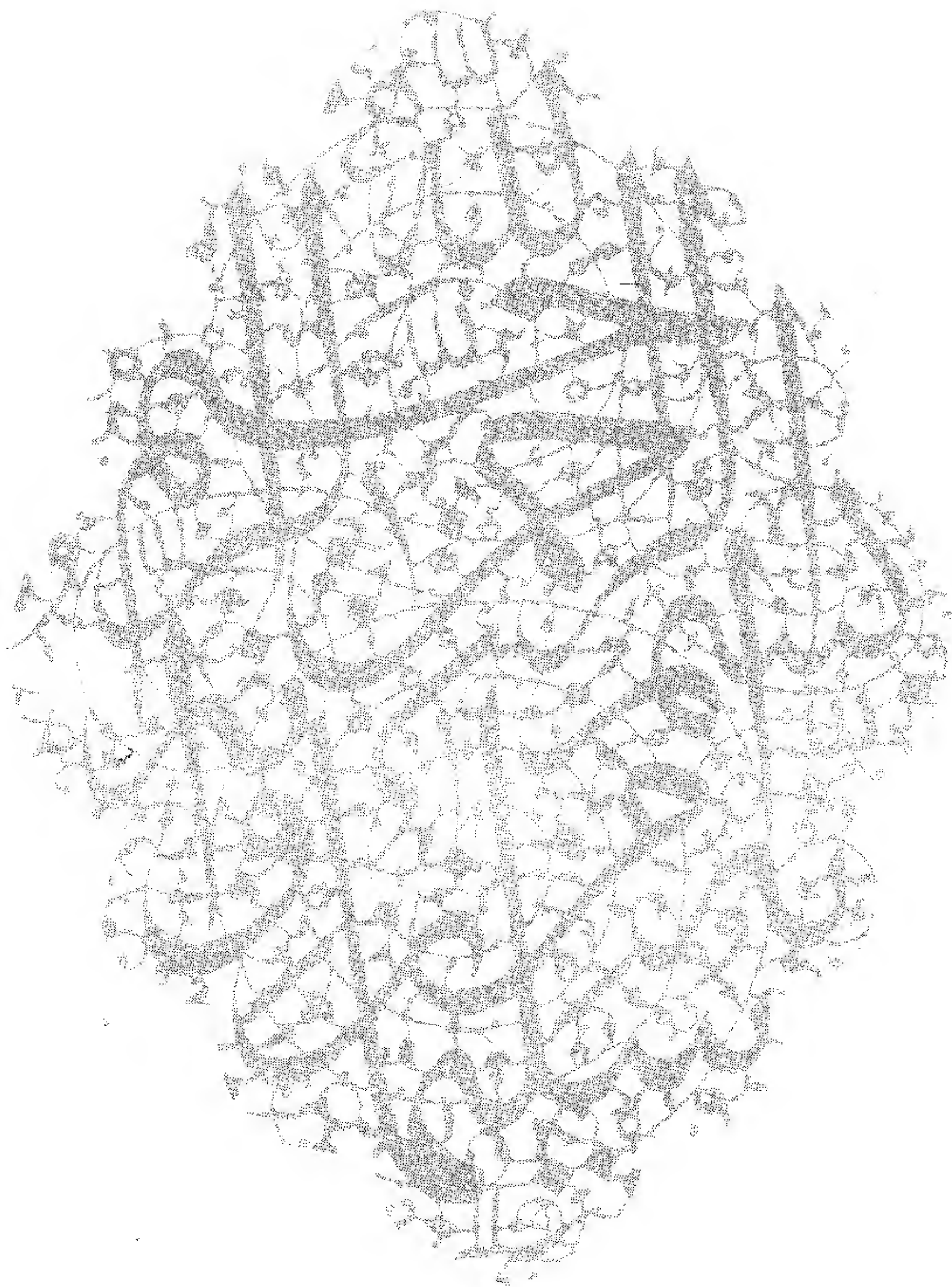
۹

معجزات الهی

محمد متولی الشعراوی



أحارة الكتب والمكتبات



الفصل الأول

معنى القياس

معنى القيامة

موضوع هذا الكتاب والكتب القادمة من (معجزة القرآن) سيكون عن يوم القيامة .. وقد يتساءل القارئ : لماذا اخترنا بالذات موضوع يوم القيامة ، مع انه يدخل في عالم الغيب .. نقول : إن الأساس في الايمان هو الايمان بالآخرة .. وبأن هناك حسابا .. وبأن الله سبحانه وتعالى سيستدعيننا يوم القيامة ليحاسبنا عما فعلناه في الدنيا .. والدنيا هي دار الاختبار .. والآخرة هي موعد الجزاء .. والذين يوقنون إنهم سيلاقون الله يوم القيامة يحسبون لذلك اليوم ألف حساب .. ولو أن كل إنسان تذكر هذه الحقيقة لصلح أمر الدنيا .. ذلك لأن كلا منا سيحاسب نفسه قبل أن يحاسبه الله سبحانه وتعالى .. ولكن الناس نسوا يوم الحساب ، وانطلقوا مع أهوائهم يفعلون ما تشتهى أنفسهم ، ويرتكبون المحرمات .. ويعتدون على الحرمات .. ويأخذون المال الحرام .. ناسين أو متناسين أن هناك يوما قادمًا رهيبا يجعل الولدان شيبا . ولعل هذا الكتاب ، والكتب القادمة ، تكون تذكرة لهؤلاء .. ولعلهم إذا قرأوه استيقظت الضمائر ، وأحسن الناس بهول ما يفعلون .

هذه مقدمة قصيرة كان لا بد منها لايضاح الهدف الذى نسعى إليه .. ذلك أن أمور الغيب دائما هي الباب الذى يدخل منه الشيطان ، سواء كان من شياطين الانس ، أو من شياطين الجن .. يدخل منه إلى النفوس الضعيفة .. لماذا ؟ لأننا لا نرى الغيب . ومادنا لا نراه فهو محجوب عنا .. ذلك أن الايمان أساسا هو إيمان

معنى القيامة

بالغيب .. أو إيمان بما هو غيب .. ذلك أنك إذا رأيت شيئا فلا تقول إنك تؤمن به .. لأنك تراه رأى العين .. رؤية يقين .. والايان ليس مطلوبا في الحسيات والمشاهدات .. ولكنه مطلوب في الغيب .. فيما هو غيب عنا .

ولقد أوضح الله سبحانه وتعالى مطلوبات الايمان فى بداية كتابه الكريم وفى أول سورة البقرة .. إذ يقول تعالى :

﴿ أَلَمْ نَكُتُبْ لَكَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾ الَّذِينَ
يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿
وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ
يُوقِنُونَ ﴿

إذن فالإيمان بالغيب واليقين واليوم الآخر هما من أهم علامات
الايان .. ذلك أن اليقين بالآخرة قضية هامة جدا ، تحكم السلوك
الانسانى فى الدنيا ، وتردع كل من تسول له نفسه أن يغتر بسلطان
أوبقوة أو بنفوذ .. فيطلق لنفسه شهواتها ، ويعتدى على حقوق
الناس .. دون أن يكون هناك وازع .. ولكنه إذا عرف يقينا أنه
سيقف بين يدى الله ، فإن ذلك سيكون رادعا قويا لشهوات نفسه
ولظلم غيره .. فأنت تحشى الله سبحانه وتعالى إذا كنت تؤمن

معنى القيامة

بالآخرة .. فإذا مددت يدك لتسرق فتذكر أنك ملاق الله ، وأنه سيحاسبك فتمتنع عن السرقة ، وإذا أردت أن تأكل حقوق الناس بالباطل ، وتذكرت أنك ستلاقي الله ارتعدت نفسك وابتعدت عن ظلم الناس ، وأكل حقوقهم .

وهكذا كل شيء في الدنيا مادمت على يقين بأنك ستلاقي الله يوم القيامة . فإنك تتبع السلوك الايمانى . خوفا من عذاب الله .. وطمعا في رضاه وجنته .

عين اليقين

هناك علم يقين .. وعين يقين .. العلم الذى تأخذه عن الله سبحانه وتعالى لا بد أن يكون علم يقين .. لأنه صادر عن الله .. ومادام الله سبحانه وتعالى قد قال .. فالمؤمن يوقن أن ذلك سيحدث حتما . وكأنه يراه أمامه .. وفى ذلك يقول الله سبحانه وتعالى فى سورة التكاثر ..

الْهَكَرُ النَّكَارُ ① حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ② كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ③ ثُمَّ
كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ④ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ⑤ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ
⑥ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ⑦ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ⑧

معنى القيامة

فإذا كانت عين اليقين هى المشاهدة كما سيحدث فى الآخرة عندما نرى جهنم .. فإنه لابد أن يكون فى قلوبنا علم اليقين .. لأنه مادام الله سبحانه وتعالى قد قال فهى موجودة كأننا نراها .

وأساس السلوك البشرى فى الدنيا هو الايمان باليوم الآخر .. فإذا لم يكن إيمانك بهذا اليوم إيمان يقين ، أى لا يدخل إليه الشك أبدا .. تكون قد اهتزرت ، ويستطيع هنا أى شيطان أن يدخل إلى قلبك ليوهمك أن كل حديث عن الغيب هو غير صحيح ، أو غير واقع ، وحينئذ يتغير السلوك الايمانى كله .

فمادام ليس هناك حساب فمن تخشى ؟ .. ومن تخاف ؟ .. ومن الذى يرفع يدك عن ضعيف تغتصب حقه إلا إيمانك بالآخرة والحساب .. ومن الذى يوقفك عن أن تأكل أموال الناس بالباطل ، وتبغى فى الأرض ، وتغرك قوتك .. من الذى يقول لك : قف مكانك .. هو الايمان بالآخرة ، لأنك فى هذه الحالة ستحس بأن كل عمل تعمله مكتوب عليك .. وانك إذا كنت قويا جبارا فى الأرض فستكون ضعيفا ذليلا فى الآخرة ، لا ناصر لك ، ولا معين أمام الله .

إذن لولا الايمان بالآخرة لتحولت الدنيا كلها إلى مجموعة من الوحوش .. الضعيف يفتك بالقوى .. ويعتدى القادر على غير القادر .. يضع الحق .. والعجيب أن المؤمن والكافر يخشيان حساب الآخرة .. ولعل التساؤل يكون كيف لإنسان لا يؤمن

معنى القيامة

بالآخرة أن يخشاها ..

الكافر حقيقة لا يؤمن بالآخرة .. ولكن الموت الذى يراه كل يوم فى حياة غيره يملاً حياته هو بالرعب والفرع ، وينغص عليه عيشته ، وهو يرى الموت كل يوم فى حياة ألوف غيره .. بل فى حياة أقرب الناس إليه ، والسؤال يلح عليه دائماً : إلى أين ؟ .. إلى أين ؟ يحاول أن يأق بالدليل تلو الدليل ولوزيفا .. ولتضليلاً .. يحاول أن يقنع نفسه أن لا شىء بعد الموت ، حتى يستطيع بهذه الفرية أن يهون على نفسه ارتكاب المعاصى .. وهو يبرر لنفسه دائماً ما يفعله .. السارق يقنع نفسه بأنه يأخذ حقه من المجتمع بيده .. والمعتدى على حقوق الآخرين يبرر ذلك بأن هذا هو حقه .. والمهم أن الايمان الفطرى فى كل نفس يؤرق صاحبها ، ويحاول أن يجد تبريراً لكل المعاصى التى يرتكبها .. ما من حاكم ظالم إلا أقنع نفسه بأنه مصلح اجتماعى .. وما من آخذ للمال الحرام إلا زين لنفسه أن هذا جهده وماله .

منهج الحياة

نبدأ بعد ذلك فى بيان منهج الحياة ، وكيف أن الله سبحانه وتعالى أعد هذا المنهج لاسعاد البشر فى الأرض .. وكيف أن البشر أفسدوه بأهوائهم ومخاوفهم ممن هم دون الله .. الله سبحانه وتعالى خلق هذا الكون بكمال قدرته وحده .. فلا أحد يستطيع أن يقول أو يدعى مهما بلغ من القدرة والقوة انه شارك الله سبحانه وتنزه وتعالى فى

معنى القيامة

الخلق .. فقضية الخلق بالنسبة لله وحده هي قضية محسومة لا جدال فيها .. فالله خلق السموات والأرض والجبال والبحار والأنهار والزرع والنبات والحيوان والانسان والجن والملائكة .. والله أخبرنا أنه هو الذى خلق ولم يستطع ولن يستطيع أى ممن خلق الله أن يدعى أنه خلق هذا الكون .. ومن هنا فالقضية محسومة لله سبحانه وتعالى وحده .

وسخر الله سبحانه وتعالى كل ما فى الكون لخدمة الانسان .. فالشمس تشرق لتحفظ الحياة فى الكون .. وهى أقوى من الانسان ملايين المرات .. ولو اقتربت من الكون بضعة كيلو مترات لاحترق الكون كله .. ولو ابتعدت عن الكون بضعة كيلو مترات لتجمد الكون كله .. ولكنها مسخرة من الله سبحانه وتعالى لتخدم الانسان .. والرياح تعطى الانسان الهواء اللازم لحياته .. ولو ذهبت ما بقيت الحياة .. ولو استخدمت قوتها لدمرت الكون كله .. كذلك البحار تستطيع أن تغرق الأرض فى ثوان معدودة . ولكنها مسخرة لخدمة الانسان .

إذن كل قوى الكون ، بما فيها من جماد ونبات وحيوان ، مسخرة لخدمة الانسان .. وهذا التسخير ليس ذاتيا .. لأن الشمس لا تستطيع أن تقول أنا سأشرق اليوم واحتجب غدا .. لأنها مسخرة بأمر ربها لا تملك الاختيار .

ارتقاء الأجناس

كل جنس من أجناس الكون هو مخلوق من الله سبحانه وتعالى بذاتية معينة وقوانين محددة . وفيه إرتقاءات . . ولكن لا يستطيع أى جنس أن يرتقى إلى صفات الجنس الآخر . . وإنما يقف عند حدود هذه الصفات . . فالجماد آخر إرتقاءاته هو النمو . وهذه أولى خصائص النبات . . فنجد الشعب المرجانية لها خاصية النمو ، ولكنها تقف عند ذلك . . ولا تصل إلى خاصية التنفس مثلا الموجودة في النبات . . فالنبات له خاصية النمو والتنفس وإعطاء الثمار . . ويصل إلى أول مرتبة من مراتب الحيوان وهي الحس . . فتجد عددا من النباتات إذا لمستها انفعلت لك - كالست المستحية - كما يطلقون عليها إذا لمستها ضمت أوراقها . . وبعض النباتات النادرة في الغابات الاستوائية إذا لمسها الانسان أمسكت به ، ولكنها لا تستطيع أن ترقى إلى خاصية الحيوان . . وهي الحركة التي هي أولى مراتب الحيوان . . والحيوان يملك الحركة والحس ، وله خواصه .

وأعلى مراتب الحيوان هي القردة . أولئك أقرب الأجناس الحيوانية إلى الانسان ، ولكنها لا تستطيع أن تصل إلى مرتبة العقل . . فلم نسمع عن مجموعة من القردة عقدت اجتماعا لتبحث كيف ترتقى بحياتها . . ولم نسمع عن أى نوع من الحيوان يستطيع أن يرث الحضارة عن بنى جنسه ويرتقى بها ليضع التقدم في حياته . . قد يستطيع الانسان أن يدرب حيوانا على عدد من الأعمال ، ولكن هذا

معنى القيامة

تدريب فردى بموهبة الانسان .. فلا يستطيع فرد مدرب أن يدرب ابنه ، ولا يولد فرد مدرب يرث صفات أبيه التي اكتسبها بالتدريب .

والانسان هو خليفة الله في الأرض . أعطاه العقل ليميز بين الأشياء ويرث الحضارات .. ويبدأ كل جيل بما انتهى إليه الجيل الذي قبله ويضيف إليه ، والعقل البشرى يستطيع أن يرث الحضارة ويبدأ من حيث انتهى الذين سبقوه ، ويضيف إليها .. وهذه ميزة الانسان وحده .

والله سبحانه وتعالى خلق الانسان ، وسخر له هذا الكون كله ، وجعل في الكون آيات بينات يستطيع العقل البشرى أن يصل إليها بسهولة .. فكل ما في الكون من خلق واعجاز هو آية من آيات الله تلفتنا إلى عظمة الخالق وقدرته .. ونحن حين نتدبر هذا الكون بنظامه الدقيق الذى لا يختل ثانية واحدة .. وبعظمة الخلق فيه .. وبالنعم التي تملؤه ، نجد اننا نصل إلى حقيقة هامة .. وهى انه لا بد أن يكون لهذا الكون خالق .. قوة هائلة خارقة معجزة هى التي صنعت لنا كل هذا .. فنحن لم نصنعه لأنفسنا .

الجسد .. والارادة

حين نتدبر في خلقنا .. وفي الجسد البشرى الذى تعمل معظم أعضائه بدون إرادتنا وبدون سيطرتنا عليها .. وبدون حتى إحساسنا

معنى القيامة

بعملها .. نحس أنه لابد أنها تعمل بإرادة خالقنا .. فالقلب يدق ، ونحن لا ندرى به ، وهو غير خاضع لنا .. فالقلب ينبض بدون إرادتنا وبدون أن نحس به ، ولا نستطيع أن نقول له : توقف عن النبض فيتوقف .. ولا أن نعطيه ساعات لا ينبض فيها ليستريح .. والرئتان تقومان بعملهما في تنقية الدم ، وإخراج الهواء الفاسد ، واستقبال الهواء النقي ، ونحن لا ندرى عن هذا شيئا ، ولا نستطيع أن نصدر أمرا إلى الهواء بألا يدخل ، أو إلى الرئتين لتتوقفا عن العمل ، بل اننا حينما نصل إلى المعلومات الدقيقة عما يحدث في الرئتين نذهل مما يحدث في أجسادنا ، ونحن لا ندرى .. وكذلك المعدة والكبد والأمعاء .. كلها تؤدي وظائفها بدون تدخل منا ، أو خضوع لإرادتنا .

والحواس عندنا تقول لنا : هذا حلو المذاق ، وهذا مر .. وهذا بارد ، وهذا حار ، وتؤدي ملايين المهمات بدون أن نعرف عنها شيئا ، وان كنا نستفيد بها .

بل إن الأشياء الظاهرة التي تخضع لقدراتنا هي مسخرة لخدمتنا من الله سبحانه وتعالى .. فالقدم تمشي بأمر صاحبها ظاهريا .. ولكنها في الحقيقة تتحرك بأمر الله .. ولو كان تحركها من ذاتنا ما وجد من له قدما ولا يستطيع أن يمشي ، لأنه مشلول ، والعين تبصر بأمر الله ، وان كانت تخضع لنا ظاهريا .. ولو كانت تبصر بقوة ذاتية منا ما وجد من له عينان ولا يبصر .. وكذلك كل الحواس الأخرى .

معنى القيامة

إذن فنحن نستخدم عقولنا لتوصلنا إلى أن لهذا الكون ولنا خالقا
أوجد كل هذه النعم وأوجدنا . . ولكن هذه العقول لا تقول لنا شيئا
عن الخالق . . ولا ماهو اسمه . . ولا ماذا نفعل لنشكره على نعمه
علينا . . ولا ما هي مراداته منا . . ومن هنا كان لابد ، لكى يكتمل
المنهج ، أن يرسل الله سبحانه وتعالى الرسل ليبينوا لنا ماذا يريد الله
منا . . وكيف نشكره على نعمه . . ولذلك جاءت الرسل مبلغة عن
الله لتقول لنا : إن خالق هذا الكون هو الله . . وانه قد أعد لنا جنة
عرضها السموات والأرض ، ينعم فيها من أطاعه . . ونارا يعذب
فيها من عصاه . . وان الله سبحانه وتعالى قد وضع منهجا للانسان فى
الحياة . . وهذا هو المنهج .

ولم يكن الله سبحانه وتعالى ، رحمة بنا ، ليضع لنا المنهج ، ثم
يتركنا لنطبقه كل حسبما يرى . . ونفسره كل على قدر اجتهاداته .
ولذلك اختار رسله من البشر . . من جنسنا حتى لا نقول : يارب إن
هذا المنهج يعجز عنه البشر . . فلو أن الله أرسل ملكا رسولا ،
أو خلقنا من غير جنس الانسان ، لقلنا : يارب لا نستطيع لأن هذا
الرسول ليس من جنسنا . . إنه يملك قدرات أكبر . . ولكن كون
الرسول بشرا أعطانا التطبيق العملى لمنهج الله بقدرة البشر . . تطبيق
الرسالة محروس بمنهج السماء . . يرينا كيف يريد الله سبحانه وتعالى
أن يطبق منهجه فى الأرض ، وحتى يكون التطبيق أمانا عمليا .
ولقد أوكل الله سبحانه وتعالى للانسان أن يحافظ على المنهج . .
ولكن الناس حرفوا منهج الله . . فأدخلوا فيه أشياء لم يطلبها ، ولكنها

معنى القيامة

تخدم أهواءهم البشرية ، وحرفوه وأضافوا إليه . . لذلك جاء القرآن الكريم ، منهج الله وخاتم الرسالات ، ليكون محفوظا بقدرة الله ، لا بقدرات البشر . . فلا يدخل إلى القرآن تغيير وتبديل بشرى . . ولا ينسى منه حرف ، ولا يضاف إليه حرف . . بل يبقى خالدا إلى يوم القيامة .

معنى منهج الله

ماذا أراد الله سبحانه وتعالى بالمنهج ؟ . . أراد أن يحكم به أهواء النفس . . فكل ما ليس فيه هوى بشرى تركه الله سبحانه وتعالى ليستنبطه الانسان من الكون بدون أن يتدخل فيه منهج الله بأفعل ولا تفعل . . فالعلوم الصماء التي مكانها المعمل لا يتدخل فيها منهج الله إلا أن يحيطها بقيم أخلاقية . . فهذه لا خلاف عليها بين البشر . . فعلوم الكيمياء مثلا أو الطبيعة أو الفلك أو غيرها . . نجد العالم كله فيها يتعاون مع بعضه البعض . . بل ان كل دولة تحاول أن تتجسس على الدولة المتقدمة في العلوم لتأخذ منها . . والجميع يتنافس في الوصول إلى أكبر درجات العلم المادى . . وهنا لا تتدخل الأهواء ، لأنه مادامت التجارب معملية ، فإن الأهواء لا يمكن أن تتدخل فيها .

ولكن هناك أمور الحياة ، والتي يتدخل فيها هوى النفس . . فبينما

معنى القيامة

مثلا نرى أمريكا والاتحاد السوفيتي يتسابقان إلى نقل العلوم عن بعضهما البعض . . نجد أننا إذا وصلنا إلى نظريات الحكم . . فكل دولة منها تحاول أن تمنع نظريات الدولة الأخرى من الوصول إليها . . فأمريكا إذا وجدت فكرا شيوعيا قاومته . . ووضعت من يعتنقونه في السجون ، وربما حكمت عليهم بالموت . . والاتحاد السوفيتي إذا وجد من يدعو إلى النظام الرأسمالي شنقه ! . . وهكذا نجد أن الصراع في الدنيا ليس على الحقائق العلمية . . فكل دولة تعطى علماءها الحرية كاملة مهما كانوا ليسعوا لكشف آيات الله في الكون . . ولكن عندما يدخل هوى النفس ، يبدأ الصراع البشرى حتى بين أبناء الوطن الواحد . . وحتى بين أفراد الأسرة الواحدة وتقوم الحروب الأهلية ، ويقتل الناس بعضهم البعض ، ويحدث الفساد في الأرض من قتل وتخريب وتدمير . . وكم من صراعات تدور الآن في دول العالم كله بين أهواء الانسان . . وكم من حروب أهلية تشتعل بين اليسار واليمين . وبين الشيوعية والرأسمالية . . وبين الأهواء التي يريد كل انسان أن يحققها ليسود ويحكم . . كل هذه الصراعات التي تدمر ولا تعمر . . والتي تريد أن تحقق نفعا ذاتيا لعدد من الأشخاص على حساب غيرهم ، هي آفة الشقاء في الدنيا .

ولذلك جاء منهج الله . . يحمي الحق . . ويعطي كل انسان حقوقه بلا تمييز . . الله سبحانه وتعالى وحده هو القادر على أن يضع منهجا عادلا بين خلقه جميعا . . فهو خالقهم ، وهم جميعا عبيد له . . وهو سبحانه وتعالى لا يحابي أحدا على أحد . . ولا يميز شخصا

معنى القيامة

على شخص .. لأنهم جميعا أمامه خلق متساوون .. وهو لا يطمع فيما فى أيدي أى منهم .. فهو لا يطمع فى مال أحد ، لأنه لا يحتاج إلى المال .. ولا يطمع فى قوة أحد ، لأنه هو القوى العزيز .. ولا يطمع فيما يملكه أحد ، لأنه هو خالق هذا الكون ، وموجد كل هذه النعم .. يعطيها لمن يشاء ، وينزعها ممن يشاء .. والانسان حين يضع منهجا إنما يضعه لخدمة مصالحه .. الرأسمالى يضع المنهج الذى يخدم حقوق أصحاب الأموال ، ويعطيهم وحدهم الميزات .. والشيوعى يضع ما يخدم اللجنة المركزية ، ويعطيها كل السلطات .. والدكتاتور يضع منهجا يعطيه وحده كل الحقوق ولا حق لغيره .. ولكن الله سبحانه وتعالى يضع المنهج الذى يحقق العدالة بين الناس جميعا ، لأنه غنى عن كل خلقه .

إذن فمنهج السماء هو الذى يحقق العدل على الأرض .. ولا شىء غيره .. وكل ما يقال عن فصل الدين عن الدولة .. أو فصل الدين عن نشاطات الحياة مرفوض .. لأن كل هذه النشاطات ، بما فيها الحكم ، تدخل فيها الأهواء .. ويظلم فيها الناس .. وتحدث منها الصراعات .. ولذلك فإنه لا بد أن يحكمها قانون إلهى هو فوق هذه الصراعات كلها .. يحمى حق الضعيف قبل القوى .. ويحفظ حق المظلوم قبل الظالم .. ويضع قواعد العدل بين الناس .

وحتى لا تقتل الصراعات البشر على مطاعم الدنيا وأهوائها .. بين الله سبحانه وتعالى أن هذه الحياة الدنيا هى حياة مؤقتة . مهما طال

معنى القيامة

فيها العمر فإنه قصير . . ومهما امتدت فيها الأيام فإنه لا بد لها من نهاية . . وطلب منا الله ألا نجعل هوى النفس ، وشهوة النفوذ ، وسلطان المال . . وحب التملك يقضى علينا . . ويهلك الناس ، ويهلك الزرع ، ويهلك الخير . . يقول الله سبحانه وتعالى في سورة الأنفال :

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾

(الأنفال (٢٤)

وهنا قد يتساءل بعض الناس عن قول الله سبحانه وتعالى ﴿ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ والرسول يدعو للآخرة وللجنة ، فهل هذه الدنيا ليست هي الحياة . . نقول إن الله سبحانه وتعالى يريد للانسان الحياة الخالدة في جنة النعيم ولا يريد أن يتخذ من الدنيا هدفا . . لأن الحياة الدنيا تقوم على الأسباب ، ولذلك يعاني فيها الانسان . . في حين أن الحياة الآخرة نعيم مباشر من الله سبحانه وتعالى بلا أسباب . . والحياة الدنيا قصيرة وزائلة ، وهي امتحان للانسان واختبار لطاعته لله سبحانه وتعالى . . لذلك لا يريد الله سبحانه وتعالى من خلقه أن يكون هدفهم هو الحياة الدنيا . . وأن ينسوا الآخرة . . والله سبحانه وتعالى يريد أن يلفتنا إلى أن كل ما في الدنيا زائل . . وأن الانسان مهما علا فيها ومهما بلغ ، فهو إما أن تزول عنه النعمة . . تنزع منه . . وإما أن يزول هو عن النعمة بالموت . .

معنى القيامة

ولذلك فإن الحياة الحقيقية التى فيها الخلود . . . والتى فيها النعيم الدائم هى الحياة الآخرة التى لا بد أن نلتفت إليها . . . لأنها هى الحياة الحقيقية التى لا تزول . . . ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾

العنكبوت (٦٤)

ولذلك يريد الله أن يلفتنا إلى حياتنا الحقيقية ، وليس إلى الحياة المؤقتة التى نعيشها فى الدنيا . . . فإذا طبقنا منهج الله فى الدنيا ، حصلنا على الحياة المليئة بنعم الله فى الآخرة .

وليس معنى ذلك أن الله سبحانه وتعالى يريدنا أن نترك الحياة الدنيا للكافرين . . . إن هذا خطأ كبير يقع فيه عدد من الناس . . . والذى حدث فى الفترة الأخيرة أن المسلمين تركوا الأخذ بأسباب الدنيا ، والعمل على اكتشاف آيات الله فى الأرض ، وركنوا إلى عدم العمل ، وإلى خلافات ونزاعات لا تفيد ولا تجدى . . . وأقصى أمنية للكافر أن يترك المؤمنون شئون الدنيا والعمل فيها ويقتصروا على العبادات فقط . . . وتزول عنهم قوتهم ولا تعطيهـم الأسباب ، ويصبحوا فقراء اذلاء ضعفاء لا يقدرـون على حماية أنفسهم ، ولا يحققون من القوة والقدرة ما يجعلهم يسودون الأرض .

وإذا فعلنا ذلك . . . فإننا تكون قد أخطأنا فى فهم الاسلام . . . ذلك أن الاسلام يسيطر على حركة الحياة كلها فى البيت والمصنع

معنى القيامة

والطريق والعمل .. وتأملوا قول الله سبحانه وتعالى في سورة الجمعة :

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾

الجمعة (٩ - ١٠)

ويلاحظ في هذه الآية أن الأمر بالسعى في الأرض مساو تماما للأوامر بالعبادة .. فلا يترك المسلمون السعى ويدعون أن الله قد أمر بالعبادة فقط .. فمنهج الاسلام يطالبنا أن نأخذ بالأسباب ، ونجتهد في العمل ، ونسعى في الأرض بنفس القوة التي نأخذ بها العبادات .

ولقد جاء التشكيك في الدين الاسلامي في الفترة الأخيرة من أن المسلمين تركوا السعى في الأرض فتأخروا وتخلفوا .. ثم بدأوا بعد ذلك يتساءلون : ما هو السبب .. وهنا برز دور الكفار في محاولة إقناع الشباب المسلم بأن سبب تخلفهم يكمن في الدين الاسلامي وبدأ بعض الشباب يستمعون إليهم .

ولقد ساد الاسلام الأرض ألف سنة كانت فيها الأمة الاسلامية هي منارة التقدم والعلم والحضارة .. حتى حينها أهدى هارون

معنى القيامة

الرشيد ساعة تعمل بالمياه إلى ملك فرنسا .. أعتقد علماء فرنسا أن هناك شيطاناً داخل الساعة يحركها .

ما هو العمل .. للآخرة ؟

إذا كان الدين الاسلامي يطالبنا بالعمل من أجل الآخرة ، فليست الصلاة وحدها هي العمل من أجل الآخرة .. ولكن السعى في الأرض هو عمل من أجل الآخرة .. وهو جهاد في سبيل الله .. والعمل في الاسلام عبادة .. وسعى الانسان على رزقه ورزق أولاده هو نوع من الجهاد حث عليه الاسلام .. بل إن الله أمرنا بأن نتحرك في الأرض ليس على قدر ما نحتاج فقط ، ولكن بما يزيد على حاجتنا .. وذلك حتى تتسع حركتنا للفقير والمحتاج والضعيف الذي لا يقدر على الكسب .. والصغير الذي يحتاج لمن يعوله ، ولذلك فرضت الزكاة .. ولذلك حث القرآن على الصدقة والانفاق حتى لا يوجد في المجتمع الاسلامي فقير ولا عاجز عن الكسب إلا ويأتيه من عمل غيره ما يكفيه . وبهذه الطريقة عالج الاسلام الفقر .

لذلك يجب ألا نأخذ الدين على أنه في المسجد فقط .. أو إنه صلاة فقط .. لأن الدين الاسلامي يشمل حركة الحياة كلها . ثم يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ يُحْشَرُونَ﴾

الأنفال (٢٤)

معنى القيامة

أى اعلّموا أن الله سبحانه وتعالى يستطيع أن يحول بينكم وبين ما تشتهي قلوبكم إذا اتخذتم طريق المعصية سبيلا . فلا تعتقدوا أنكم بمعصية الله تستطيعون أن تصلوا إلى ما تريدون . . بل إن الله سبحانه وتعالى قد يحول بينكم وبين ما تريدون ، فلا تحققوا شيئا مما تتمنون . . وتكون النتيجة أنكم خسرتم الدنيا والآخرة . . ولعل هذا ما نراه كل يوم حولنا . . فكم من إنسان أغضب الله ليرضى صاحب نفوذ ، أو صاحب سلطان ، أو ليصل إلى منصب أو جاه أو مال . . ثم انقلب عليه صاحب السلطان هذا فبطش به . . أو لم يستطع أن يصل إلى المنصب أو الجاه أو المال إلا بالمعصية . . بل ارتكبها ولم تحقق له شيئا . . وإذا نظرت حولك فستجد الكثيرين ممن حاولوا أن يحققوا هدفا دنيويا بمعصية الله . . وشاءت إرادة الله أن ينقلب عليهم ما فعلوه وبالا . . وكم من إنسان ارتكب المعصية ، وأصبح فى قمة النفوذ والمال والسلطان . . وبعد يوم وليلة تغير كل شيء حتى لم يجد ما يكفيه أو يستره . .

إذن فمنهج الله جاء ليحكم حركة الحياة فى الأرض ، ويقيم العدل بين الناس . . ومع المنهج جاء التحذير بأن من يريد الحياة الحقيقية فليرع الله فى الدنيا ليصل إلى الحياة الخالدة فى الآخرة منعما مكرما . . وإذا سيطر منهج الله على الحياة فى الكون اعتدلت وامتألت الدنيا خيرا ، مصداقا لقوله سبحانه وتعالى :

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنْ

السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ ﴿٩٦﴾

الاعراف (٩٦)

ولو تصادمت الأهواء وتصارعت وبعدت عن منهج الله . . لانتشر الشقاء والخراب في الأرض . . ومن العجيب أننا نجد كثيرا من الناس ، بل والدول تنفق ما أعطاه الله من خير على الأهواء والصراعات . . ليضيع الخير كله ، وينقلب شرا ووبالا على الجميع .

وحين يبتعد الناس عن منهج الله ويتبعون أهواءهم ، وتفسد الحياة في الأرض ، وتنسى تعليم الله . . يستدعى الله خلقه سبحانه وتعالى إلى يوم الحساب ليريم الحق والحقيقة . وليعلموا علم اليقين ما هو الزيف وما هو الحق . . حين تصطدم حركة الحياة وتضيع الحقائق ويحكم الزيف . . والله يريد خلافة مستقرة في الأرض ، حينئذ من الطبيعي أن نعود إلى الله سبحانه وتعالى .

وخلاصة الأمر أن الناس ينسلخون من دينهم ، ويتبعون أهواءهم ولم يعد الدين حاكما لتصرفات البشر ، ولا لحركة الحياة . . حينئذ تقوم الساعة .

هذا من ناحية . . ومن ناحية أخرى أن يستنفذ العقل البشري فكره . . ويستنفذ تجربته . . ويستنفذ طموحاته في اكتشاف أسرار الحياة كلها . . وحين يغتر الانسان بالعلم الذي وصل إليه ، وبالإمكانات التي حققها أو التكنولوجيا التي يقولون عنها . . حين

ر معنى القيامة

يصل غرور العقل البشرى بأنه هو الذى يتصرف فى الحياة وفق ما يريد . . وينسى الناس الله ، وقدرة الله ، ويعتقدون أن الدنيا قد خضعت لهم بعقولهم هم . . حينئذ يستدعيهم الله سبحانه وتعالى إليه . . ليعلموا أن القوة والقدرة لله وحده . . وفى ذلك يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْبَيَّتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ
عَلَيْهَا أَنهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا ﴾

يونس (٢٤)

أسماء يوم القيامة

القرآن سمي يوم القيامة يوم الدين . . وسماه يوم الوعيد . . وسماه يوم الفصل . . وسماه الصاخة . . وسماه الوعد الحق . . وسماه الواقعة . . وسماه الساعة . . وسماه يوم الأزفة . . وأطلق عليه مسميات أخرى . . وكل هذه مسميات لمظاهر هذا اليوم ، وما سيحدث فيه . . ما هو اليوم الآخر ؟ . . هو انتهاء أمد الدنيا . . وابتداء أمد الآخرة . . وآخر يوم من أيام الدنيا ولذلك سماه الله اليوم الآخر . . وليس معنى ذلك أننا سنتنظر إلى آخر أيام الدنيا أو انقضاء عمرها لنرى لمحات مما سيحدث فى الآخرة . . بل إن كل إنسان فينا إذا كانت آخر أيامه من الدنيا يرى مقدمات الغيب . . بل إنه يرى

معنى القيامة

هذه المقدمات وهو محتضر . . وهذا ما سنعرض إليه في الفصول القادمة . . ولكن الذى أريد أن أقوله : إن لكل مرحلة من مراحل الحياة قوانينها . . فحياة اليقظة فى الكون لها قوانينها . . وحياة النوم فى الكون لها قوانينها . . وحياة البرزخ ، وهى ما بعد الموت إلى يوم القيامة لها قوانينها . . وحياة الخلود فى الآخرة لها قوانينها . . وكل قانون مختلف تماما فى كل مرحلة . . كما ستحدث عن هذا تفصيلا .
ويوم القيامة هو اليوم الذى يفصل فيه بين الناس . . فلا يوجد عمل فى الآخرة . . ولكن يوجد فصل فيما فعله الناس فى دنياهم .

﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ ﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ

شَرًّا يَرَهُ ﴿ ٨ ﴾

الزلزلة (٧ - ٨)

ولا يحسب الانسان أنه مهما سيتقبل منه عمل فى يوم القيامة . . بل إن عمل الانسان ينقطع من ساعة الاحتضار . . فليس هناك عمل فى حياة البرزخ ، مصداقا لقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَپْسُوْا مِنْ

الْآخِرَةِ كَمَا يَبِئْسَ الْكُفَّارُ مِنَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿ ١٣ ﴾

الممتحنة (١٣)

أى أن الذين ماتوا وهم كفار لا يقبل لهم عمل بعد الموت . ويوم الفصل معناه أنه لا بد أن يحشر الناس جميعا ليفصل بينهم . . ولقد

معنى القيامة

استخدم الله سبحانه وتعالى يوم الجمع ، ويوم الحشر في وصف يوم القيامة . . . وبعض الناس يعتقد أن هذه مترادفات لفظية . . . ولكن القرآن هو كلام الله سبحانه وتعالى . . . الذى لكل لفظ فيه وحرف فيه معنى دقيق . . . ينبهنا إلى شىء جديد . . . فيوم الجمع أن يجمع الناس جميعا في صعيد واحد . . . ولكن يوم الحشر مختلف تماما . . . فكلمة الحشر يريد الله أن يعطينا بها إحساسا بضيق المكان . . . ذلك أنك عندما تحشر شيئا فإنك فى العادة تحاول أن تدخل شيئا كبيرا فى مكان ضيق .

وإذا أردنا أن نقرب هذه الصورة إلى الأذهان . . . فإننا نقول : تصور أى مكان من يوم أن خلق الله الأرض ومن عليها . . . وتصور أنك أحصيت الخلق الذين تواردوا على هذا المكان ستجد أنهم عدد كبير جدا . . . تصور بيتا كان فيه رجل وامرأة تزوجا وأنجبا أولادا . . . والأولاد كبروا وتزوجوا وأنجبوا أولادا . . . أى البيت الذى كان فيه اثنان واسع عليهما جدا . . . فإذا بلغوا مائة أصبح المكان يضيق بهم . . . فإذا بلغوا ألفا أصبحوا محشورين فى هذا المكان . . . والله سبحانه وتعالى سيبعث الناس مرة واحدة ، وليس تباعا كما خلقهم . . . وإذا أحصيت عدد من سكنوا بلدا من البلاد من أول منشآت الحياة ، وأحصيت الذين ولدوا على أرض هذا البلد . . . ثم ماتوا ودفنوا فيه من أول الخلق إلى يوم القيامة . . . ثم بعثوا مرة واحدة . . . ما هو الموقف ؟ . . . إذن فالخيز سيصبح محشورا بالناس ، لأن الحياة التى نثرت فى هذا المكان فى أزمان مختلفة عادت لأصحابها

معنى القيامة

مرة واحدة .

كأن الناس سيحشرون حشرا مع بعضهم البعض يوم القيامة . .
رقعة الأرض التي ضاقت بالأحياء الذين عمروها في أزمان مختلفة
سيحشر الناس فيها حشرا يوم القيامة . . كان قول الله سبحانه
وتعالى . .

﴿ ذَٰلِكَ يَوْمٌ تَجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ ﴾

هود (١٠٣)

يعطينا معنى الجمع . . ولكنه لا يعطينا صورة هذا الجمع ، فيأتى
يوم الحشر ليوضح الصورة الرهيبة التي سيكون عليها الناس يوم
القيامة

ومن مظاهر هذا اليوم ، كما وصفه الله سبحانه وتعالى ، انه يوم
الدين . . أى أن الله سبحانه وتعالى يحاسب الناس على منهجه ، وهل
اتبعوه أم خالفوه . . أم نسوه . . أى أن هذا يوم لا ينفع الانسان
إلا دينه .

وهو يوم التناد . . يوم نخرج جميعا كل واحد منا ينادى الله . .
وهو يوم الآزفة . . أى يأزف علينا فجأة . . وهو يوم القيامة الذى فيه
نقوم من قبورنا . . وهو يوم الجزاء ، أى يوم يعلن فيه نتيجة
الامتحان الذى مر به الانسان فى الحياة الدنيا . . ولا ينفع فيه
إلا اجتهاده فى طاعة الله فى الدنيا .

معنى القيامة

وهو يوم الصاخة .. التى تصخ الأسماع .. ويوم الطامة التى
تطم الجميع .. ويوم القارعة .. التى تفرع الأذان فتنبهها من نومها
العميق ويقوم الناس لرب العالمين .

وهكذا نرى أن كل اسم من أسماء يوم القيامة .. إنما يمثل ظاهرة
من أسماء هذا اليوم .

إلى هنا نكون قد وصلنا إلى ختام الفصل الأول .. وقبل أن
نتحدث عن علامات الساعة ، الذى تحقق منها ، والذى لم
يتحقق .. لابد لنا من وقفة نتحدث فيها عن : لماذا وصف الله
سبحانه وتعالى يوم القيامة بأنه يوم ، مع أن الله لا زمن عنده ..
وما معنى هذا الوصف ؟ .. كما نتحدث عن انتقال الانسان من آخر
مراحل الدنيا إلى حياة البرزخ التى يبقى فيها حتى يوم البعث ..
أوحتى يأتى يومالحساب .

وسنبدا الحديث فى الفصل القادم عن الانتقال بين الموت
والحياة ..

الفصل الثاني

نهاية الحياة

نهاية الحياة

الله سبحانه وتعالى خلق الانسان من عناصر الأرض .. والتحليل العلمى فى الفترة الأخيرة أثبت أن جسد الانسان يحتوى على ثمانية عشر عنصرا ، هى العناصر الموجودة فى الأرض .. وهكذا توصل العلم أخيرا إلى ما كشف عنه القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرنا ، ثم نفخ الله سبحانه وتعالى من روحه فدبت الحياة فى ذلك الجسد المخلوق من طين .. وتم خلق آدم ، ثم خلق الله حواء من آدم أو من ضلع منه ، وذلك تعرضنا له بالتفصيل فى الجزء الثامن من معجزة القرآن الذى صدر فى العام الماضى .
يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾

(ص - ٧٢)

ويقول تبارك وتعالى :

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾

(الأحزاب - ٧٢)

وهكذا فإن الانسان روحا ، وكانت مهمته أن حمله الله الأمانة فى الأرض .. فما الروح ؟ .. وما الأمانة ؟

الروح هى أمر من أمور الله .. وكل البحوث التى تجرى عن

نهاية الحياة

الروح هي مجرد عبث .. والبحث عن الروح يشغل الانسان منذ بداية الحياة .. ذلك أنه سر الحياة الذي عجز البشر عن الوصول إليه عبر السنين .. ورغم أن الروح لا تدخل في طاقة البحث العلمى فإن الانسان مازال يحاول أن يعرف عنها شيئا .

وقد قام عالم سويسرى فى الفترة الأخيرة بتجربة وضع فيها الانسان عندما يحتضر على ميزان .. ووجد أنه فى لحظة الوفاة يفقد جزءا يسيرا من وزنه .. فادعى أن هذا الوزن هو وزن الروح .. والبعض الآخر أنكر أن لها وزنا .. والكافرون ينكرون وجود الروح . ويسموننا الزمن أو الطبيعة .. وحيرة البشرية كلها سجلها القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرنا فى قول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

(الاسراء - ٨٥)

وهناك الروح ، وهناك النفس .. النفس هي التقاء الروح بالمادة أو امتزاج الروح بالمادة .. هذه هي النفس .. والتكيف من الله سبحانه وتعالى أو الأمانة التى حملها الانسان هي للنفس البشرية .. أى فترة الحياة الدنيا التى تلتقى فيها الروح بالجسد .. والله لا يكلف الروح وحدها شيئا .. قبل أن تدخل إلى الجسد ، أو بعد أن تخرج منه .. والله لا يكلف الجسد شيئا إذا خرجت منه الروح .. ولكن التكليف حين تلتقى الروح بالمادة فى الحياة الأرضية .

نهاية الحياة

ولذلك قال الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّيْنَاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ ﴾

(الشمس - ٧ - ١٠)

أى أن الله سبحانه وتعالى بين طريق الايمان ، وطريق المعصية للنفس البشرية . . فيبين لها ما يجب أن تفعل وما لا تفعل . . وأوضح لها الخطأ والصواب . . والتكليف الالهى هو فى فترة الحياة وحدها مصداقا لقول الله جل جلاله :

﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَبِيًّا وَيُحَقِّقَ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾

(يس - ٦٩ - ٧٠)

أى أن القرآن نزل للأحياء ليعملوا به فى فترة حياتهم الأرضية . .

ما هي الروح ؟

إذا أردنا أن نفهم كلمة الروح . . فإنها ذلك السر الالهى الذى يهب الحياة للمادة . . أو الذى تحيا به المادة . . أو هو إرادة الله لها أن تحيا . . فإذا سلب الله هذه الارادة انتهت الحياة بشكلها الدنيوى . . ولذلك يصور رسول الله صلى الله عليه وسلم الحياة الدنيا

نهاية الحياة

كانها فترة قصيرة من الوقت في رحلة الحياة الكبرى . . يقضيها المسافر تحت ظل شجرة ، ثم يرحل . . فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (مالى والدنيا ؟ ما أنا فى الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ، ثم رحل وتركها) .

وحينما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم كان السائلون يريدون أن يعرفوا ماهى الروح . . ومم تتكون ؟ وكيف تهب الحياة للجسد ؟ ثم تذهبها عنه . . وهنا قال الله سبحانه :

﴿ وَيسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

(سورة الاسراء - الآية ٨٥)

أى أن الروح سر من أسرار الله سيظل غيبا عنا إلى يوم القيامة . . والله سبحانه وتعالى ينبهنا إلى أن علمنا الأرضى الذى نظن أنه كثير لن يصل إلى سر الروح .

بل إن تحدى الله سبحانه وتعالى قد جعل هذه الروح - وهى تعيش فى جسد بشرى - يعجز صاحب هذا الجسد عن أن يعلم عنها شيئا . . كيف جاءت وكيف خرجت ؟ . . وفى أى مكان هى فى الجسم ؟ . . هل هى فى القدم التى تمشى ، أم فى القلب الذى ينبض . . أم فى الرئتين اللتين نتنفس بهما . . أم فى العقل الذى يعطى الاشارات كلها للجسم .

نهاية الحياة

كل هذا عجز عن أن يحدده علماء الأرض الذين يجادلون في الله بغير علم .. يأخذون الرؤية المادية على أساس أنها يقين العلم كله .. أولئك الذين يحاولون ستر وجود الله .. ويعلنون الكفر والالحاد .

الروح في أجسادهم ، وهى معهم فى رحلتهم من المهد إلى اللحد .. أو من الميلاد إلى القبر .. ولكن أين هى الروح التى فى أجسادهم وأين مكانها .

الجواب طبعا أن أحدا لا يستطيع أن يحدد مكانها .. وتقول لهم : ما هو شكلها ؟ .. فيقفون صامتين بلا جواب .. فتقول لهم : هل هى موجودة ؟ فيقولون : نعم . لأنها تعطينا الحياة .. فتقول لهم : إذا كانت الروح . وهى موجودة وجودا يقينا فى أجسادكم ، وفى كل شىء حى . إذا كان هذا المخلوق من مخلوقات الله سبحانه وتعالى تستطيعون الاحاطة به .. ولكنكم ترون فى اثاره أنه يمنح الحياة للجسد .. فكيف تريدون رؤية الله ، وتجاهرون بأن عدم رؤية الله انكار لوجود الله سبحانه وتعالى .

ألا تكفى هذه التجربة التى هى فى أجسادكم ، والتى تعيش معكم ، لتبين لكم أنكم تفترون على الله ؟ وكان من الأجدر بكم ، وهذه الآية موجودة فى أجسادكم .. أن تسجدوا لقدرة الله سبحانه وتعالى الذى وضع فيكم هذا الاعجاز ، وتؤمنوا بوجود الله وبِعَظِيم علمه وقدرته ؟

لماذا أخفى الله سر الروح ؟

لكن لماذا أخفى الله سبحانه وتعالى علم الروح عن البشرية ؟

أولا : لأنه دليل قدرة .. دليل قدرة الله سبحانه وتعالى على أن يضع في الجسد البشرى ما يهبه الحياة دون أن يستطيع أحد من الناس معرفته .. وعندما نرى هذه القدرة نحس بعناية الله سبحانه وتعالى الذى وضع هذا السر فينا دون أن نستطيع اكتشافه .

وثانيا : أنه دليل وجود بلا رؤية .. فنحن نعرف يقينا أن الروح موجودة في الجسد ، لأنها تعطيه الحياة .. فمادامت الحياة موجودة فالروح موجودة .. فإذا خرجت الروح من الجسد توقفت الحياة ، وهذه بديهية وليست محتاجة إلى دليل .. وإنما هي توضح لنا بشكل يقينى دائم معنى الغيب .. وترد على الذين يقولون إن الغيب غير موجود ، لأنه محجوب عنا .

نقول لهؤلاء : إن الروح محجوبة عنا . فنحن لا نراها ، ولا نعرف شيئا عنها .. ولكنها موجودة ، بدليل أنها تعطينا الحياة .. إذن لا نقول ما هو عيب عنا ليس موجودا .

وهناك دلائل أخرى على أن الغيب موجود .. منها الاكتشافات العلمية التى تتم .. فإننا نرى ميكروبا من الميكروبات ، أو كوكبا من الكواكب ، ويدخل في علمنا البشرى .. فليس معنى ذلك أنه لم يكن

نهاية الحياة

موجودا قبل أن نكتشفه . . بل معناه أنه كان موجودا ثم أتاح لنا الله سبحانه وتعالى قدرات مكتتنا من رؤيته . . ولكنه كان يباشر مهمته في الحياة قبل أن نراه ، أو نعلم بوجوده .

وهكذا كل الاكتشافات العلمية الجديدة هي قوانين الله في الأرض كانت تباشر مهمتها قبل أن نكتشفها . . بل معناه أن الله أراد أن يعلمنا بها . . فالغلاف الجوى لم نضع فيه نحن خاصية حمل الطائرات ، ولا نقل الأصوات والصور للاذاعة والتليفزيون . . ولكن هذه الخصائص كانت موجودة منذ خلق الله الأرض ومن عليها . . ولكنها كانت غيبا عنا ، ثم كشفها الله لنا .

ولكن إذا كانت هناك أشياء كثيرة في الكون نستطيع أن نستدل بها على أن ما هو غيب عنا موجود . . فلماذا غيب الله علم الروح عنا ؟ لأن هذه الاكتشافات العلمية محتاجة إلى أن يدرس الناس ويتعلموا حتى يصلوا إلى فهم لها . . ولكن ذلك الذي لا يقرأ ولا يكتب لا يستطيع أن يستوعب مثل هذا العلم . . والله سبحانه وتعالى لا يفرق بين عباده ، بل يساوى بينهم جميعا . . وبما أن وجود الروح في الجسد دليل لا يحتاج إلى تعلم . . بل هو شيء محس يرى للناس ، كل الناس ويعرفه الجميع . . لذلك بقيت الروح لتكون دليلا للناس كلهم على أن ما هو فوق قدرة العقل . . أو مالا يحيط به العقل موجود . . حتى إذا دخل الشك أى نفس يكفى أن تضرب مثل الروح . . ليعلم الناس جميعا وبدون حاجة إلى تعلم وقراءة . . ان

نهاية الحياة

ما لا يحيط به العقل موجود في الكون . . بذلك يساوى الله بين خلقه في الدليل الايماني . . على أن ما هو غيب عنا ، وما هو فوق قدرة عقولنا ، موجود .

والسبب الثالث أن حقيقة الروح ، سواء علمت بها أو لم تعلم ، لا يفيدك ذلك شيئا في حياتك الدنيا . . فالانتفاع بالروح لا يقتضى ولا يقتضى العلم بها . . فهي تعطيك الحياة والقدرة ، سواء علمت بها أو لم تعلم . . وفي ذلك يتساوى الإنسان الذى لم يقرأ سطرا في حياته ، والإنسان الذى بلغ مبلغا كبيرا من العلم . . فكلاهما ينتفع بالروح انتفاعا كاملا طوال رحلة حياته . . سواء علم سرها أو جهل ذلك السر .

إذن فأنت تنتفع بالروح التى تعطيك الحياة والحركة ، ولست محتاجا إلى أن تعرف سرها . . فهو بالنسبة لك جهل لا يضر . على أننا يجب أن نتوقف عند قول الله سبحانه وتعالى :

﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾

(سورة الاسراء - الآية ٨٥)

ماذا تعنى كلمة أمر بي . . القرآن الكريم يبين لنا ذلك فيقول :

﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾

(سورة يس - الآية ٨٢)

إذن أمر الله هو إرادة الله سبحانه وتعالى للشيء أن ينتقل إلى حياة

نهاية الحياة

البشر بكلمة « كن » . . وأن يخرج الشيء من علم القادر . وهو الله سبحانه وتعالى ، إلى علم غير القادر ليباشر مهمته في الحياة .

ما هي مهمة الانسان

نأتى بعد ذلك إلى مهمة الانسان في الكون . . نجد أن الله سبحانه وتعالى قد كرم آدم تكريما عظيما . . وجعل الملائكة يسجدون له ، ثم حمله الأمانة .

ما الأمانة ؟ الأمانة هي شيء لا يقوم عليه دليل مادي مكتوب . . فإذا أتيت إلى شخص ، وأعطيته مبلغا من المال . . وأخذت منه إيصالا أو شيكا بالمبلغ لا يكون هذا أمانة ، ولكنه يكون دينا ، فإذا أعطيته هذا المبلغ وأشهدت عليه الناس ، فلا يكون هذا أمانة ، وإنما يكون دينا . . ولكن إذا أعطيته مالا أو شيئا آخر . . وتم ذلك بدون ورقة مكتوبة . . وبدون أن أشهد عليه الناس أكون قد أعطيته أمانة يستطيع أن ينكرها ، وأن يردها في أى وقت شاء دون أن يكون لدى دليل مادي إذا أنكره .

والسلوك بالنسبة للأمانة ينقسم إلى ثلاثة ردود فعل :
رد الفعل الأول : أن يقبل الانسان الأمانة ، ويقول أعطها لى ،
وهي في الحفظ والصون إلى أن تأتى لتطلبها .
ورد الفعل الثانى : هو أن يخاف الانسان من نفسه ويقول : اعفى

نهاية الحياة

من هذه المهمة فأنا لا أستطيع أن أضمن نفسي ويدي ستمتد إليها لتبدها . . . وحينئذ يكون قد رفض حمل الأمانة .

ورد الفعل الثالث : أن يبدى الانسان استعدادا وتقبلا لتحمل الأمانة . . . فإذا أصيب بضيق مادي ، أو احتاج لشيء ، امتدت يده إليها ليأخذ منها . . . على أساس أنه سيعيد ما أخذ . . . ثم يفاجأ عند مجيء موعد الرد بأنه لا يستطيع أن يرد الأمانة فينكرها . . .

هذا هو المعنى العام للأمانة التي حملها الانسان . . . وهي منهج الله في الأرض وحرية الاختيار في افعـل ولا تفعل . . . ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾

(سورة الاحزاب - الآية ٧٢)

وقد أوضح الله سبحانه وتعالى الأمانة بمعناها الواسع في القرآن الكريم . . . فقال :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكُنْ بِتَيْنِكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ﴾

(سورة البقرة - الآية ٢٨٢)

نهاية الحياة

ومعنى ذلك أن الدين هو الذى يقوم عليه صك مكتوب ، أو ورقة مكتوبة . . ثم يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَنْ مَقْبُوضَةً فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمْنَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ﴾
(سورة البقرة - الآية ٢٨٣)

عرض الله على السموات والأرض والجبال وغيرها أن تحمل منهج الله . . وأن يأتنها الله على هذا المنهج ، ويعطيها الحرية فى أن تفعل ولا تفعل . . وأن تأتى إليه عن اختيار ، وعن حب ، وليس عن قهر . . فإن اتبعت المنهج وفعلت كان لها ثواب عظيم . . وإن خالفت المنهج ولم تفعل بقيت خالدة فى النار . . ولكن كل هذه المخلوقات رفضت أن تحمل الأمانة وقالت : يارب إننا نخاف . ونشفق على أنفسنا . ونخشى ألا نستطيع أن نؤدى أمانة المنهج الذى تريدنا أن نحمله . . ولذلك يارب اجعلنا مقهورين على طاعتك ، غير مختارين أن نعصى .

ولكن الانس والجنان قبلوا أن يحملوا هذه الأمانة . . وقالوا : يارب نحن قادرون وسنكون أمناء على المنهج ونطيع ولا نعصى . وعندما بدأت المهمة لم يقدر كثير من الناس على حمل أنفسهم على الطاعة ، وخانوا الأمانة .

ولهذا وصف الله سبحانه وتعالى الإنسان حين حمل الأمانة

نهاية الحياة

بوصفين : بأنه ظلوم ، أى كثير الظلم .. وجهول ، أى أنه عظيم الجهل .. لأن الانسان ظلم نفسه ، فحملها ما لا يقدر الضعف البشرى فى كثير من الأحيان أن يتحملة .. ولأن بنى الانسان يريد أن يتميز كل واحد منهم على غيره .. وأن يغتر بنفسه .. بينما يجب أن تتحدد أهدافهم فى طاعة الله .. لذلك كان الانسان كثير الظلم .. وهو ليس ظالما ، ولكنه ظلوم لأنه يظلم نفسه فيمنعها من نعيم مقيم من أجل متعة مؤقتة تعطيها له معصية .. وظلمها ثانية بأن منعها من الجنة .. ولأنه - وهو يعلم يقينا أنه تارك كل شىء فى الدنيا - يريد أن يملك ويملك .. ويرتكب فى سبيل ذلك معاصى كثيرة .. ولوتنبه فإنه يدرك أنه لا يخرج من الدنيا بشىء إلا ذنوبه .

وكان الانسان جهولا

ولماذا كان الانسان جهولا ، أى عظيم الجهل .. لأنه استهان بعذاب الله .. ذلك العذاب الذى هو محجوب عنا .. ولورأيناه ما نطق لسان بمعصية .. ولا امتدت يد إلى مال حرام ، ولكن لأن هذا العذاب أخفى عنه .. ظن الانسان انه لا علم إلا علمه .. ونسى علم الله الواسع الذى لا تحدّه حدود .. وقدرة الله التى لا تفوقها قدرة .. وهو جهول لأنه بقدر ما أعطاه الله من علم ومن ذكاء .. عبد أشياء لا تنفع ولا تضر .. فعبد الحجر ، وعبد الشمس ، وعبد النار ، وعبد الحيوانات ، وعبد الدنيا .. ولوأنه

نهاية الحياة

.. كان يعقل ولا يجهل .. لعلم أن هذه المخلوقات كلها أدنى منه ..
وأن الله سخرها كلها لخدمته .. فكيف يعبد الأعلى الأدنى ؟!
ولأنه جهول عبد الدنيا ، وهو مفارقها .. والخالق لا يفارق
مخلوقه .

مع أن الله سبحانه وتعالى حين حمله الأمانة أعطاه العقل الذي يميز
به .. وجعل هذا العقل أساس الحساب بحيث يتوقف الحساب حين
يتوقف العقل عن أداء العمل .. فالمجنون يسقط عنه التكليف ،
ولا يحاسب .. والطفل الذي لم يبلغ الحلم والنضج العقلي الذي
يجعله يستطيع أن يفرق أو يميز لا يجري عليه القلم .. فلقد حرم الله
كل ما يعطل العقل ويفسده .

حرم الخمر تحريماً قاطعاً ، لأنها تفسد العقل وتعطله عن أداء
مهمته في الحياة .. وما ينطبق على الخمر ينطبق على المخدرات ، لأن
مقومات الشريعة الإسلامية جاءت للحفاظ على هذا الكنز الإلهي إلى
ميز الله به الإنسان ، وهو العقل .. واختيارات العقل هي التي
تشقى الإنسان وتسعده في الحياة .. وتقوده إلى الجنة أو النار ..
فالغريزة لها انفعال واحد . أما الفعل فأمامه بدائل كثيرة .

فالإنسان مثلاً إذا أذى كلباً فإنه يعضه بلا انفعال آخر .. وكلما
أذى الكلب كان رده على الأذى أن يعض من آذاه .. والحصان مثلاً
يرفس من يؤذيه .. انفعاله له شيء واحد لا يتغير .. ولكن الإنسان
إذا ضربه إنسان آخر فإن أمامه عدة بدائل .. إنه يستطيع أن يرد

نهاية الحياة

الضربة بمثلها أو بأشد منها أو بأقل منها .. أو أن يصفح عمن ضربه ، أو يكتفى بتوبيخه .. هناك بدائل لا حدود لها موجودة عند الانسان وحده .. هذه البدائل يضعها العقل ، وليست الغريزة .

والانسان في كل لحظة من لحظات حياته مطالب بالاختيار .. إذا قمت بهذا العمل فهل أوفق فيه ؟ .. وأنا في ضيق مالى أترك وظيفتى وأبدأ عملاً حراً ؟ .. وإذا أفلست فماذا يحدث ؟ هل أبيع السلعة أم أبقئها ؟ ربما يرتفع سعرها فأكسب أكثر .. وربما انخفض سعرها فتكون الخسارة كبيرة .

وهكذا يظل الانسان يعانى في كل أحداث الحياة .. وهنا يصطدم المنهج مع ما تريده النفس مع الخوف من الدنيا .. هل أرضى صاحب النفوذ ، وأغضب الله ، لأربح مالا ؟ .. هل أشهد الزور وأكذب لأحصل على ترقيه ؟ وهنا يكون الصراع بين هوى النفس وبين منهج الله .

والانسان المؤمن تتحد مراداته في الحياة الدنيا مع مرادات منهج الله سبحانه وتعالى منه .. فهو يتبع ما أمره الله به .. فيكون قد أدى الأمانة التى حملها .. وحصل على السعادة فى الدنيا والآخرة .. يخلص نفسه من هذه الصراعات كلها .. ويعلم أن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يحميه ، وعلى أن يحقق له ما يريد . فيتبع الحق . ويقول الصدق ، ولا يخشى إلا الله .

أما الانسان الذى يخون الأمانة ، ويعصى الله ، ويجرى وراء

نهاية الحياة

كسب دنيوى دون ما إيمان حقيقى فى نفسه . . فىكون قد خسر الدنيا والآخرة . . فلا يمكنه الله مما يتمناه فى الدنيا ، ويكون من أهل النار فى الآخرة . ولذلك وصف الله سبحانه وتعالى سلوك هذا الانسان بقوله :

﴿ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾

(سورة الحج - الآية ١١)

وبعد أن تحدثنا عن الخلق والحياة ، ومهمة الانسان فى الحياة ، لابد أن نكمل الحديث بمغادرة الانسان للحياة . . فكما أن هناك حياة . . وأن هناك مهمة فى الحياة حملها الانسان ، واثمنه الله عليها ليؤديها . . فلا بد أن تكون هناك مغادرة لهذه الحياة . . ثم حساب على ما فعلناه .

ولكن قبل أن تنتقل إلى الحديث عن الانسان ، وهو يغادر الدنيا ، لابد أن نتوقف لحظة لنقول : أن الله سبحانه وتعالى خلق الانسان ليأتيه عن حب واختيار . . ولم يخلقه ليأتيه بالقهر والجبر . . ذلك أن القهر يسقط الحساب حتى فى قمة العقيدة ، مصداقا لقول الله تعالى :

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ

عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾

(سورة البقرة - الآية ٢٥٦)

نهاية الحياة

وقوله تبارك وتعالى :

﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

(سورة النحل - الآية ١٠٦)

وقوله تعالى :

﴿ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَبِيتَكُمْ عَلَى إِلْهَاءٍ إِنْ أَرَدْتُمْ تَحْصُنَا لَنَتُبَتَّغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْنَهُ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

(سورة النور - الآية ٣٣)

ولذلك فإنه لكي يكون الحساب عدلا .. فإنه لابد أن يتم الفعل بإرادة الانسان ورغبته وبلا إكراه .. وعندما تأتي ساعة مغادرة الدنيا تكون كل أفعال الانسان التي يأخذها معه برغبته وبإرادته الحرة . والخلق والموت والبعث كل هذا موجود في علم الله وواقع .. ولذلك فإنني أقول دائما إننا يجب أن ننتبه إلى قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾

(الآية ٤٠ سورة يس)

ولابد أن ننتبه هنا إلى قول الله « أن نقول له » .. أى أن الشيء كائن وموجود في علم الله سبحانه وتعالى .. فإذا قال له : أى قال

نهاية الحياة

لهذا الشيء الذى له وجود فعلى فى علم الله « كن » .. ظهر لنا
فعلمناه .. أورايناه .. أو اكتشفناه .

إذن فكل ما فى الكون من موت وحياة وبعث وأحداث تقع ..
كلها موجودة فعلا فى علم الله سبحانه وتعالى ولكننا لا نعلم عنها
شيئا .. إلا عندما تأتى مشيئة الله بكلمة « كن » .

هذه هى الحقيقة التى لا بد أن نتنبه لها أولا : حتى نعرف أن علم
الله شامل لكل شيء ولا حدود له .

نلاحظ ، ونحن نتكلم عن الموت والحياة ، أن الله سبحانه وتعالى
جعل الموت سابقا للحياة فى قوله تعالى :

﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾

(سورة الملك - الآية ٢)

فلماذا سبق الموت الحياة فى هذه الآية ؟ .. الله سبحانه وتعالى
يريد أن يلفتنا فى هذه الآية لكيلا يأخذنا غرور الدنيا وما تعطيه ..
فإذا اغتر الانسان بما يعطيه الله له من مال .. أو ملك ، أو ما أعطاه
الله له فى الدنيا من نعم .. فتأتى هذه الآية فتوضح أنه كان ميتا
فأحياه الله ، فلا يغتر بهذه الحياة .. ولا يملأ الأرض بالمعاصي ..
لأنه وإن كان له كيان اليوم .. فلم يكن له كيان فيما مضى أو حياة ،
ومصيره مرة أخرى إلى ترك هذه الحياة ، مهما طال به الأجل ، وترك
كل ما فيها من نعم .

نهاية الحياة

فالغرور الانساني هو بداية المعصية . . ودائما عندما يغتر الانسان بنفسه ويملؤه الفخر بذاته وقدراته . . فإنه يبدأ الابتعاد عن الله تعالى ، والابتعاد عن المنهج . . فمادام قادرا على أن يحقق لذاته ما يريد . . فقد أصبح يتصور أنه ليس محتاجا إلى الله . . ومن هنا تبدأ المعصية . . فالانسان الذي يحس أنه في حاجة دائما إلى الله تعالى . . يبقى دائما متعلقا بالله متبعا لمنهجه . . فإذا أحس أنه في منعة وعزة بدأ يبتعد ، وذلك مصداقا لقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ ﴾

(سورة الاسراء - الآية ٨٣)

وقوله تبارك وتعالى :

كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِبَطْغٍ ۚ أَن رَّأَاهُ اسْتَغْنَىٰ ﴿٦﴾

(سورة العلق - الآية ٦ و ٧)

وقوله جل جلاله :

﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنِّهِ ۖ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّ مَسَّهُ ۚ كَذَٰلِكَ زَيْنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

﴿ ١٢ ﴾

(سورة يونس الآية ٩٢)

إذن مادام الانسان في ضر فإنه لا يتجه إلا إلى الله . . حتى ذلك

نهاية الحياة

الذى ينسى الله .. ويتبعد عن المنهج ، بمجرد أن تصيبه محنة أو ضرر أو أزمة ، يرفع يديه إلى السماء ويقول : يارب .. وفى هذه الحالة يكون الانسان صادقا مع نفسه .. لأنه يعلم يقينا أن الأمر كله بيد الله ، ويعرف أن كل ما اتجه إليه من نعم الدنيا وأسبابها لم يستطع أن يعطيه الحماية التى كان يريد لها .. أما إذا اغتر الانسان وأحاطت به النعم فإنه ينسى الله .. ويأخذ بالأسباب .. ويفعل كما فعل قارون ، ويقول : إنما أوتيته على علم عندى .

لماذا أخفى الله موعد الموت ؟

لقد وضع الله سبحانه وتعالى من خصائص الموت ما يجعل الانسان يفيق من غرور وجاه الدنيا ، ويذكره بقدرة الله سبحانه وتعالى ، فأخفى الله موعد الموت .. لماذا ؟ .. حتى يتوقعه الانسان فى آية لحظة .. فكلما اغتر تذكر انه قد يفارق الدنيا بعد ساعة أو ساعات ، فرجع عن غروره ، ورجع إلى الله سبحانه وتعالى .

ولو كان الله قد أعلم كلاً منا بأجله وعصينا الله .. وظفينا فى الحياة .. وظلمنا الناس .. ثم نتوب ونستغفر قبل موعد الأجل بأشهر .. فى هذه الحالة تنتفى الحكمة من الحياة .

واخفاء الله سبحانه وتعالى موعد الموت هو اعلام به .. ذلك أن

نهاية الحياة

إخفاء الموعد يعنى أن الانسان يتوقع الموت فى أى لحظة . . ولذلك فإنه إذا كان عاقلا تكون عينه على الدنيا ، وعينه الأخرى على الآخرة . . فإذا ارتكب معصية فهو لا يعرف هل سيمد الله أجله إلى أن يرتكب المعصية ويتوب . . أم أن أجله قد يأتى وقت ارتكاب المعصية ، فلا يجد الوقت للتوبة .

وما يقال عن المعصية يقال عن العمل الصالح . . فلو أن موعد الموت معلوم . . لأجل الانسان العمل الصالح إلى آخر حياته . . ولكن الله يريد أن يكون الصلاح ممتدا طوال الزمن ولذلك أخفى موعد الموت . . ليعجل الناس بالأعمال الصالحة قبل أن يأتى الأجل . . فكان إخفاء الموعد فيه رحمة من الله للبشر . . رحمة بأن يخافوا المعصية أن تأتى مع الأجل . . ورحمة بأن يسارعوا فى الخيرات حتى لا يفاجئهم الأجل .

نأتى بعد ذلك إلى ساعة الاحتضار . . وهى الساعة التى تغادر فيها الروح الجسد . . أو سكرة الموت ، كما يسميها الله سبحانه وتعالى . . فى هذه اللحظة تكون قد انتهت حياة الاستعلاء ، وحياة الكبر ، وكل مظاهر الحياة الدنيا . . وكل ما تستطيع الحياة أن تعطيه للانسان . . تقف الدنيا كلها بكل من فيها وما فيها من علم وقوة ونفوذ وسلطان عاجزة أمام قدرة الله سبحانه وتعالى . . ففى هذه اللحظة يأخذ الانسان مقدمات الغيب . . أى أن الانسان ، وهو محتضر ، يرى أشياء ما كان يقدر أن يراها فى أثناء الحياة الدنيا . . لماذا ؟ . . لأن بشريته الآن قد خمدت . . ومادامت البشرية قد

نهاية الحياة

خمدت ، تهب نفحات الغيب .. وهذا هو معنى الآية الكريمة :

﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ۝١٩ ﴾

(سورة ق - الآية ١٩)

أى ما كنت تريد ألا تتذكره أو تعترف به .
في هذه الحالة لا تنفع فيها التوبة ، ولا يجدى فيها الاستغفار ..
فمادامت سكرة الموت قد جاءت ، فقد انقطع عمل الانسان
الدنيوى .

والله سبحانه وتعالى قد ذكر لنا أشياء تحدث للانسان وهو يحتضر .
فقال تعالى :

﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ۝٨٣ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ۝٨٤ وَنَحْنُ أَقْرَبُ
إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴾

(سورة الواقعة - الآية ٨٣ - ٨٥)

أى أن الانسان وهو يحتضر ، يكون أقرب إلى ملكوت الله من
أولئك الذين يقفون حوله .. وهم إذا كانوا يقفون حوله فإنهم
لا يبعدون عنه إلا مسافات قصيرة .. فإنه يرى أشياء لا يرونها ..
ويرى مقدمات الغيب لا يبصرها من حوله ، ويرى الملائكة .

واقراً قول الله سبحانه وتعالى :

نهاية الحياة

﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ
أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ
غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ
كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ
مَعَكُمْ شُفَعَاءَ كُذِّبُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ
وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾

(سورة الأنعام - الآية ٩٣ - ٩٤)

ماذا يرى الانسان ساعة الاحتضار ؟

هكذا نرى أن الانسان ساعة الاحتضار يرى الملائكة ويكلمونه
فإن كان من الذين عصوا الله ، والعياذ بالله ، بشره الملائكة
بالعذاب .. وبشروه بجهنم ، وهو في هذه اللحظة لا يراهم فقط ،
بل يسمع كلامهم على أننا نتوقف عند قول الله سبحانه وتعالى
أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ

(سورة الأنعام - الآية ٩٣)

نهاية الحياة

والنفس - كما قلنا - هي التقاء الروح بالجسد .. فكيف يطلب الملائكة من الظالم المحتضر أن يخرج نفسه .

لكي نفهم هذه الآية لابد أن نضع في أذهاننا أن هذا المحتضر كان كافرا بالله ، ومكذبا بالبعث .. وحينئذ وهو يحتضر يقول له الملائكة : هائتذا الآن ترى ما كنت تكذب به .. وترى العقاب الذى ينتظرك ، فإن كان لك قوة أو قدرة كما كنت تدعى فى الحياة الدنيا ، فاخرج نفسك من هذا .. أهرب إذا كنت تستطيع .. خلص نفسك إذا كانت لك قوة أو تفوق .. إنك لا تستطيع فى هذه اللحظة أن تخرج نفسك مما أنت فيه .. ألم تعد لك قدرة على أن تسيطر على ذلك .. لقد كانت هذه القدرة من الله سبحانه وتعالى .. وهبها لك فى الحياة الدنيا .. ولكنك الآن لا تملك فى نفسك شيئا ، ولا ينتظرك إلا العذاب .. لما كنت تقول على الله غير الحق ، وتستكبر فى الأرض .

وفى هذه اللحظة أيضا تذكر الملائكة هذا الانسان الكافر المنكر لآيات الله بأنه قد جاء إلى الموت وحده ، وليس معه عصيته ، ولا عزوته فى الدنيا .. وحيدا كما تم خلقه .. حتى الآلهة التى أشرك بها قد تخلت عنه .. وحتى الذين كان يعصى الله من أجلهم لم يأتوا معه ، ولا يستطيعون أن يدافعوا عنه .. ثم تكتمل الصورة بقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ اتَّوَقَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةَ يَصْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَهُمْ

نهاية الحياة

وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ
لِّلْعَالَمِينَ ﴿٥١﴾

(سورة الأنفال - الآية ٥٠ - ٥١)

أى أنه ساعة الاحتضار يكون هناك ضرب وإيذاء من الملائكة
للكافرين .

والمعروف أن أى نوع من العذاب لا يتم إلا مع وجود الحياة .
فأنت لا تستطيع أن تعذب جسدا ميتا . . ولكن لكى يحس الجسد
بالعذاب لابد أن تكون فيه حياة أو روح . . أى أن ما يحدث من
الملائكة معه ضرب وإيذاء إنما يحدث ساعة الاحتضار وفى الجسد
حياة .

وانظر بعد ذلك إلى الصورة المقابلة فى الصالحين الذين تتوفاهم
الملائكة . . يقول الله تعالى :

﴿ الَّذِينَ نَتَوَقَّعُهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ
بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

(سورة الفط - الآية ٣٢)

أى أن الانسان الصالح حين يصل إلى ساعة الاحتضار يرى
الملائكة أيضا . . فكل إنسان ، وهو يحتضر ، يرى ملائكة الموت .
ولكن اللقاء يكون مختلفا . . فبينما الكافر يضرب الملائكة وجهه

نهاية الحياة

ودبره .. ويقولون لهؤلاء الكافرين « ذوقوا عذاب الحريق » .. فإن
الانسان المؤمن تدخل عليه الملائكة بالبشرى . ويقولون له سلام
عليكم .. أى أنت وصلت إلى دار السلام بأمان .. ويبشرونه
بالجنة .

هنا فى ساعة الاحتضار يفرق المؤمن والكافر ، وذلك بخلاف
الحياة الدنيا كلها ، ففي الحياة الدنيا قد يكون الكافر له من الحياة
والسلطان ما ليس للمؤمن .. وقد يكون له فى العلو والترف ما ليس
للمؤمن .. ولكن تبدأ التفرقة بينهما ساعة الاحتضار ، فيرى الكافر
الملائكة ، وقد جاءوا بمقدمات الجزاء ، وانها لوا ضربا عليه .. ويرى
المؤمن الملائكة ، وقد جاءوا بمقدمات النعيم وبشرى بالجنة . ويرى
الكافر النار .. ويرى المؤمن الجنة .

حينئذ لا تنفع التوبة ، وذلك مصداقا لقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ
فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١٧ وَلَيْسَتِ
التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي
تُبْتُ الْعَنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ
عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٨ ﴾

(سورة النساء - الأيتان ١٧ - ١٨)

نهاية الحياة

أى أن لحظة الاحتضار - كما قلنا - لا تقبل فيها التوبة ..
ثم يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ (٢٢)
(سورة الفرقان - الآية ٢٢)

أى أن الله سبحانه وتعالى يريد أن يخبرنا بأن الانسان يرى الملائكة ومقدمات الغيب فى ساعة الاحتضار .. وفى هذه الساعة لا تنفع التوبة .. والانسان وهو يحتضر ، يعلم موقعه ، هل هو من أهل النار ، أم من أهل الجنة .. تلك هى لحظات نهاية الحياة . حينئذ ينتقل الانسان من حياة إلى حياة ، أو من قانون إلى قانون .. وهذا هو موضوع الفصل القادم .

الفصل الثالث -

قانون ما بعد الحياة

قانون ما بعد الحياة

عندما ينتقل الانسان من الدنيا ، وينتهى فيها عمره ، يكون قد بدأ أول أيامه من رحلة الآخرة . . ذلك أن كل من يخرج من الدنيا تنتهى صلته بأحداثها تماما . . ولا يصبح أمر الدنيا هو شغله . . وينقطع عمله إلا من علم ينتفع به ، أو صدقة جارية ، أو ولد صالح يدعو له . كما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : علم ينتفع به ، أو صدقة جارية ، أو ولد صالح يدعو له » .

هذه الأشياء الثلاثة التى ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم هى امتداد لعمل الانسان فى الدنيا . . والعلم الذى ينتفع به هو امتداد لعلم اجتهد فيه الانسان فى حياته الدنيوية ، ثم علمه للناس وتركه لينتفع الناس به . . فهذا النفع هو اتصال لعمل الانسان ، ويكون له جزاء عليه .

ولكن هناك شرطا لهذا العلم ، هو أن يكون لوجه الله سبحانه وتعالى . . أو يقصد به الله . . فكل عمل يقوم به الانسان ، ولا يقصد به وجه الله ، ليس له أجر عند الله . . وهذا كما قلت مبدأ لا بد أن نفهمه ، لأنك تأخذ أجرك فى الدنيا وفى الآخرة ممن عملت من أجله . . فلا يعقل أن تعمل عملا لإنسان ، ثم تذهب لتطالب شخصا آخر بأجرك . . هذا لا يتفق مع منطق الوجود . . وكذلك نعمل عملا لغير الله . . ثم نطلب من الله أجرك فى الآخرة .

قانون ما بعد الحياة

وكثير من الناس الذين قدموا خدمات للإنسانية .. ولم يكن في
بالهم الله ، وهم يقومون بهذا العمل ، أعطاهم الله أجرهم في
الدنيا .. فأطلقت أسماؤهم على الميادين والمدن ، وقيمت لهم
التمائيل ، واحتفل الناس بذكراهم .. وكان من عدل الله أن يوفيهم
أجرهم في الدنيا التي عملوا لها .. وفي ذلك يقول الله سبحانه
وتعالى :

﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ
مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَطُلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾

(سورة هود - الآيتان ١٥ - ١٥)

وليس معنى ذلك أن يكون العلم من علوم الدين وحدها .. أى
أن أى إنسان مؤمن يصل إلى علم وفي باله الله ، وأنه يعمل ليرضى
الله واستفادت الدنيا كلها بعلمه ، فإن الله يؤتيه أجره ، لأنه لم يعمل
من أجل مال أو جاه أو شهرة .. رغم أن هذه قد تأتى ، ولكنه يعمل
من أجل الله .. أما ذلك الذى لا يحمل فى قلبه أى نوع من الايمان ،
ويعمل من أجل الدنيا وحدها ، وهو غير مؤمن بالآخرة . فإن الله
يؤتيه أجره فى الدنيا .

أما الصدقة الجارية فهي مال الانسان الناتج من عمله وورقه ..
وبدلاً من أن يتفقه فى أن يبني له قصراً .. أو فى الترف ، أو فى الفساد

قانون ما بعد الحياة

في الأرض . . ينفقه في عمل يبتغى به وجه الله وحده . . كأن يبنى مسجداً ، أو يقوم ببناء دار يسكن فيها الفقراء عجائزاً ، أو ملجأ للأيتام ، أو يرصد إيراد ما يملكه لينفق في سبيل الله . . ومادام هذا العمل قائماً في الدنيا فإنه يصل إليه أجره في الآخرة .

وولد صالح يدعو له ، هو جزاء من الله على حسن تربية الأبناء على منهج الله ، بحيث ينشأون صالحين . . ومن علم ابنه القرآن ، وحرص على أن يؤدي هذا الابن الصلاة ، وحثه على الصدقة ، وكل عمل طيب . . فإن هذا الابن الذي هو امتداد للأب يكون دعاؤه مقبولا رحمة لأبيه ، وزيادة في حسناته ، وذلك حتى نحرص على أن يشب أولادنا على الفطرة السليمة والدين القويم .

كل حياة لها قوانين

هنا قد يتساءل بعض الناس : ما نوع الحياة التي ينتقل إليها الإنسان في قبره وقبل البعث ؟ نقول لهؤلاء جميعاً : إن كل حياة خلقها الله لها قوانينها . . فإذا انتقلنا إليها نعرف هذه القوانين . . ولكي يقرب الله سبحانه وتعالى هذه الصورة إلى الأذهان ، ويجعل العقول تستوعبها . . جعل الحياة قانونين مختلفين تماماً . . قانون اليقظة وقانون النوم .

قانون ما بعد الحياة

فأنت حين تكون مستيقظا تخضع حياتك لحواسك . . فترى بعينيك وتسمع بأذنك ، وتمشى بقدميك إلى آخر ما يحدث بالنسبة لكل فرد فينا . . فإذا دخلنا إلى النوم انتقلت من هذه القوانين كلها إلى قوانين مختلفة تماما .

أولا حين تنام فإنك تفقد تماما عنصر الزمن . . لأن الزمن لا بد له من أحداث تحدده . . فإذا لم تكن هناك أحداث فقدت إحساسك بالزمن . . ولذلك فإن الانسان إذا نام . . لا يعرف حين يستيقظ كم ساعة قضاها في النوم إلا إذا نظر إلى الساعة . . ولا نجد إنسانا يستطيع أن يقول لك إنه نام ساعة أو ساعتين أو ثلاثا أو سبعا إلا إذا أخبرته أنت ، أو إذا نظر إلى الساعة ، أو إذا تغير الزمن . . بأن يكون قد نام ، والشمس مشرقة . . وقام والليل قد جاء . . إذن ففى قوانين حياة النوم يلغى الزمن .

وأنت نائم ترى في المنام أشياء عجيبة لا تراها في الدنيا . . وتجذ نفسك في أماكن غريبة لم تشهدها من قبل . . وتلتقى بعدد من الناس انتقلوا إلى رحمة الله منذ سنوات طويلة تتكلم وتتحدث معهم . . وربما رأيت نفسك تقفز من جبل عال ، وتستقط في واد عميق ، ولا تصيبك كسور ، ولا تحس بالآلام . . وتقع لك أحداث لا تتفق مع منطق الحياة ولا قوانينها . فتجد نفسك مثلا في الهواء بدون طائرة . أو تهبط إلى باطن الأرض . . أشياء لا تتقيد بمنطق ، ولا بقوانين حياة اليقظة في الدنيا .

قانون ما بعد الحياة

والعجيب أن ذلك يحدث لك وكل حواسك معطلة .. فأنت ترى وعينك مغمضتان .. والعين حين تغمض في اليقظة لا ترى .. وأنت تجرى ورجلاك ساكنتان فوق السرير .. وسكون حركة القدمين يتنافى مع الحركة في حياة اليقظة .. فإذا كنت متيقظا ، وقدماك ساكنتان ، فأنت لا تتحرك .. وترى نفسك وأنت خارج هذه النفس .. فالإنسان في حياته الظاهرة لا يرى نفسه وهو خارجها .. وتتكلم ولسانك لا يتحرك .. وفي الحياة الظاهرة إذا سكن لسانك امتنعت عن الكلام .

كل هذا يطرح أكثر من تساؤل .. كيف ترى وعينك مغمضتان إذا كان الإنسان لا يرى إلا بعينه .. إذن فهناك رؤية بغير العين .. أى أن وسيلة الرؤية التي وضع الله أسرارها في جسدك تعتمد على العين في الحياة الظاهرة فقط .. أما وأنت نائم فإن هناك ملكات أخرى ترى .. وهناك ملكات أخرى غير قدميك تتحرك .. وهناك ملكات أخرى غير لسانك تتكلم .. والقوانين التي تحكمك ، وأنت نائم ، تختلف تماما والقوانين التي تحكمك وأنت في حياة اليقظة .. ومع ذلك فأنت أنت نفس الإنسان الذي ينتقل من قانون إلى قانون بمجرد أن يضع جسده على السرير وينام .

وتحاول أن تجد تفسيراً لذلك كله فلا تستطيع .. بعض الناس يقول : إنه العقل الباطن .. والبعض الآخر يقول إنها رغبات مكبوتة .. كل إنسان يفسرها كما يريد .. ولكن أين هي

قانون ما بعد الحياة

الحقيقة ؟ .. لا أحد يعرف ذلك يقينا إلا أننا حين ننام لا نتبع قوانين حياة اليقظة .. فإذا كان الانسان ينتقل من قانون إلى قانون بمجرد النوم .. فكيف لا ينتقل من قانون إلى قانون عندما تنتهى حياته في الدنيا ، ويبدأ الحياة في البرزخ .. ولا أحد يعرف ما هى القوانين التى تحكم الانسان عندما يغادر الحياة الدنيا .. ورسول الله صلى الله عليه وسلم خاطب القتلى من كفار قريش بعد موقعة بدر .. وعندما سأله الصحابة : أتكلم الموتى يا رسول الله ؟ .. قال إنهم يسمعوننى . ولكنهم لا يستطيعون الرد .. وكلم الموتى وهم في قبورهم ، وكان يسمعهم .. ولكن هذه خاصية لرسول الله صلى الله عليه وسلم .. كما قيل إن على بن أبى طالب رضى الله عنه كلم أصحاب القبور فى البقيع .

ولكن كل هذه الخصوصيات لمن أراد الله سبحانه وتعالى أن يفتح له بابا من أبواب الغيب ، ولا يمكن أخذها على أساس أنها عمومية يستطيعها كل إنسان ، أو يقدر عليها كل منا . فهى تختص بصاحبها فقط : ولذلك يجب ألا تعمم .. وإنما تنقل عن قائلها .. ونصدقها مادام قد قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنها مروية عنه .

أما نحن فيقف علمنا عند حد أن هناك حياة خاصة فى البرزخ لها قوانينها الخاصة ، ولها طبيعتها الخاصة .. كما أعطانا الله سبحانه وتعالى قانون النوم ، وقانون اليقظة ليعرفه كل منا .. فنخرج من ذلك بأن هناك أشكالا متعددة ، أو أطوارا للحياة يمر الانسان بها فى

قانون ما بعد الحياة

مراحل مختلفة .. كل له قانون يحكمه ، كما أن لكل خلق من خلق الله قوانين تحكمه .

بين الموت والبعث

على اننا إذا أردنا أن نأخذ مثلاً من القرآن الكريم على أن هناك حياة بين الموت والبعث .. فإننا نأخذ ما رواه الله لنا عن آل فرعون كتشبيه لنا عن حياة البرزخ .. يقول الله سبحانه وتعالى في آل فرعون :

﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ٤٦ ﴾

(سورة غافر ٤٦)

عندما يقول الله سبحانه وتعالى :
« يعرضون عليها غدوًّا وعشيا » .

فإن في ذلك إشارة إلى أن هناك زمناً .. فالغدو والعشى أوقات ، وهذا من صفات الزمن ، ثم يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾

(سورة غافر ٤٦)

قانون ما بعد الحياة

إذن عرض آل فرعون على النار لا يكون يوم القيامة . . فإن هناك زمنا يعرض فيه آل فرعون على النار . . ثم هناك زمن آخر عندما يأتي موعد يوم القيام يدخلون أشد العذاب . . إذن العرض غير قيام الساعة . . الطرفان مختلفان . . وبذلك نرى أن هناك حالتين . . حالة عرض على النار . . وحالة إدخال آل فرعون أشد العذاب يوم القيامة .

وإذا كنا نريد أن نخصي في معرفة الآية الكريمة فإننا نقول : إن الأزمان يمكن أن نحددها نحن بثلاثة : هي : حياة الانسان . . وما بين الموت والبعث . . ويوم تقوم الساعة . من خلال هذه الأزمنة الثلاثة نحاول أن نحدد متى يتم العرض على النار . . غدوا وعشيا متى ؟

هل كان آل فرعون يعرضون على النار ، وهم في الحياة الدنيا ؟ ثابت أنه لا . . فقد كان فرعون عاليا في الأرض ، ونصب نفسه إلهًا يعبد . . واستخف قومه فأطاعوه . . وكل الأحداث التي رواها القرآن الكريم عن قصة فرعون وموسى تنفي تماما أن العرض كان في الحياة الدنيا . . ولو أن آل فرعون عرضوا ولو مرة واحدة على النار في الحياة الدنيا ما عبدوا فرعون ولو دقيقة واحدة . . بل لكانوا قتلوه . . ولو أنهم عرضوا على النار مرة واحدة في الحياة الدنيا لآمنوا وسجدوا لله تعالى .

إذن لم يبق من الأزمنة إلا زمانان : حياة البرزخ ويوم القيامة . .

قانون ما بعد الحياة

يوم القيامة يدخلون أشد العذاب . . ومن هنا انتقلت حالة أنهم يعرضون على النار يوم القيامة . . إذن فلا بد أنهم يعرضون على النار في حياة البرزخ . . وقد اختص الله آل فرعون بهذا العرض لتجبرهم وعبادتهم لفرعون . . وإدعاء فرعون الألوهية . . لأنها ليست معصية أوامر . . ولكنها معصية أمر . . فباقي الأمم عصوا الأوامر . . ولكن آل فرعون عارضوا الأمر على الألوهية وأنكروها . . فلذلك كان لهم أشد العذاب . . وكانت حياتهم في البرزخ يعرضون فيها على النار .

هذه صورة من حياة البرزخ يروها لنا القرآن الكريم . . وهناك صور أخرى حجبها الله عنا في علم الغيب . . وكون الله سبحانه وتعالى قد أعد لآل فرعون أشد العذاب ولم يدخلهم النار إلا يوم القيامة دليل على أن العذاب الحقيقي يبدأ يوم القيامة . . وأن الانسان في قبره يعرف مصيره . . يعرف حسناته وسيئاته . . يعرف مقامه من الجنة أو من النار . . ويرى مقعده ومنزلته فيها . . فإذا عرف أن مقامه في النار . . فذلك عذاب ما بعده عذاب . . لأنه عرف يقينا إلى أين يذهب . . ولذلك فإن هذا العذاب يجعله في قبره ، وكأنه يتقلب في النار حين يرى مصيره الأكيد . . يعيش في ظلمة . . ويعيش في كرب ما بعده كرب . . وحين يرى المؤمن مقامه أو مصيره في الجنة . . فإن ذلك نعيم ما بعده نعيم ، لأنه يحس وكأنه يعيش في الجنة ونعيمها . .

إذن فالعذاب الحقيقي لا يأتي إلا بعد الحساب . . ولكن في القبر

قانون ما بعد الحياة

يكفى أن الانسان يعرف أن مصيره إلى النار ، ليعيش في عذاب مقيم .. ويكفى أن الانسان يعرف أن مصيره إلى الجنة ، فيعيش في نعيم مقيم .

من هو القرين ؟

نأتى بعد ذلك إلى ما يقال عن القرين .. ولقد سمعنا أشياء كثيرة تقال عن القرين .. وكيف أنه يلزم الانسان في حياته ، وانه يعيش مدة أطول منه .. وانه عندما يمارس الناس مسألة تحضير الأرواح ، فإن هذا القرين هو الذى يأتى ، وهو الذى يتكلم .

والحقيقة أن الناس قد أخطأوا فى فهم معنى القرين .. والله سبحانه وتعالى شرح لنا ما المقصود بالقرين .. ومن هو القرين فى قوله تعالى :

﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ۖ يَقُولُ أَأُنْكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ۚ ٥٢
أَوْ ذَا مِمَّنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا ۖ أَأَنَّا لَمَدِينُونَ ۚ ٥٣
فَاطْلَعْ فَلْيَنْهَ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ۚ ٥٤ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدْتَ لَتُرْدِينَ ۚ ٥٥ ﴾

قانون ما بعد الحياة

وقوله جل جلاله :

﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴿٣٨﴾﴾
(سورة الزخرف - الآيات ٣٦ - ٣٨)

وقوله عز وجل :

وَالَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ
الْآخِرِ ^ق وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا
(سورة النساء - الآية ٣٨)

وقوله سبحانه وتعالى :

﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٣٦﴾﴾
(سورة ق - الآية ٣٦)

وقوله تعالى :

﴿وَقَبَضْنَا لَهُمْ قُرَآءَهُ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ
عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ ^ط

قانون ما بعد الحياة

إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ ﴿٢٥﴾

(سورة فصلت - الآية ٢٥)

وهكذا نرى أن القرآن الكريم قد بين لنا بما لا يقبل أى شك أو تأويل ، معنى القرين .. فالقرين هو من شياطين الانس والجن .. ومهمته أن يبعد الناس عن الصراط المستقيم .. وان يزين لهم معصية الله .. وأن يوسوس لهم بالسوء .. وأن يغويهم إلى طريق المعصية .. هذه هى مهمة القرين كما أوضحها الله سبحانه وتعالى لنا فى القرآن الكريم .. فكل من يصد عن سبيل الله ، ويحاول أن يبعد الناس عن منهجه فهو قرين .

ولكل إنسان منا قرين يحاول أن يدفعه إلى طريق النار .. ويدخل إلى قلبه الشك فى الايمان ، ويزين له عبادة الدنيا .. حتى إذا جاء يوم القيامة تبرأ هذا القرين من الانسان ، وقال : يارب انا لم أجعله يطغى ، ولم أزين له طريق المعصية .. ولكن هوى نفسه هو الذى دفعه إلى هذا الطريق .. فبعده عن المنهج هو الذى جعله ينحرف .. وهكذا يحاول كل من الانسان العاصى ، وقرينه أن يلقي اللوم على الآخر .. أما القول بأن هذا القرين هو شبيه بالانسان ، وانه يلزمه طوال حياته ويعيش أكثر منه .. فذلك لم يثبت إلا إذا كان المقصود أن القرين يظل يوسوس للانسان بالسوء طول حياته .. ويحاول أن يمنع من العمل الصالح ومن العبادة .. ويظل يطارده ويلاحقه فى كل مكان ويدفعه إلى المعصية .

قانون ما بعد الحياة

وعلى أية حال ، الثابت من القرآن الكريم أن القرين هو من شياطين الإنس والجن الذين يدفعون الناس إلى معصية الله ، وإلى طريق النار . . وان لكل إنسان قرينا يدفعه إلى هذا الطريق ، وان بعض الناس يستمعون إلى هذا القرين ، ويمضون في طريق البعد عن منهج الله . . وبعض الناس لا يستمعون إلى القرين ولا يبالون به . وبذلك يكونون من أهل الجنة .

لقد ضرب القرآن مثلا عندما سأل واحد من أهل الجنة من القرين الذى كان يوسوس له بالسوء ، فاطلع فرآه فى سواء الجحيم ، أى فى وسط النار . . ومعنى ذلك أن هذا القرين قد أخفق فى أن يقود المؤمن إلى طريق الهلاك . . وهذا واضح من الآيات التى أوردناها .

كل شىء .. له كيان

كل شىء فى هذه الدنيا له كيان ، ولا بد أن نعرف أن الموت له كيان . وإذا كنا لا نراه أو لانشهدده ، فذلك لأنه محجوب عنا . . وكل شىء فى الدنيا هناك ملك موكل به . . والملائكة تتولى الانسان منذ خلقه حتى موته ، حتى بعثه .

وهناك خلق كثير ، وأشياء كثيرة لا نراها . ذلك أننا محدودون ببشريتنا . . ولذلك فإننا لا نرى إلا ظاهرا من الحياة الدنيا . ذلك الظاهر الذى يمكننا من أن نؤدى فترة الاختبار التى تمثلها الحياة الدنيا

قانون ما بعد الحياة

في مراحل الحياة .. والناس في أطوار الحياة المختلفة ، سواء في الحياة الدنيا ، أو في البرزخ ، لهم الحياة التي تتناسب مع قوانين تلك المرحلة .. ولا يموت كل من في الدنيا من مخلوقات إلا عندما ينفخ في الصور .. وينبها الله سبحانه وتعالى إلى هذا المعنى فيقول :

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ

اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٦٨﴾

(سورة الزمر - الآية ٦٨)

ولا أحد يعرف إلا الله سبحانه وتعالى ما هو الفارق بين النفخة الأولى والنفخة الثانية .. والله وحده هو الذي يعلم ذلك .

فترة الموت تستمر ما بقيت الحياة حتى يوم القيامة .. أى أن ملك الموت أو ملائكة الموت يظلون يؤدون أعمالهم في قبض الأرواح حتى قيام الساعة .. وكل انسان موكل به ملك موت معين ليقبض روحه في لحظة محددة معينة .. ويقال إنه عندما يطلق سهم الحياة يطلق معه سهم الموت .. ويظل ملك الموت يبحث عن ذلك الموكل بأن يقبض روحه .. إلى أن يأتى الأجل فيهديه الله إلى مكانه .

الموت .. بلا أسباب

ولقد جعل الله لكل شىء سببا ، ما عدا الموت .. فالموت يأتى

قانون ما بعد الحياة

بلا أسباب قد يكون أجل الانسان ، وهو في بطن أمه لم ير الدنيا بعد . . وقد يكون عمره في الدنيا ساعة أو ساعتين . . أو يوما أو أياما أو شهورا أو سنوات . فلكل إنسان أجله .

ولذلك فإن بعض الناس قد يقول إنه تشاجر مع إنسان فانفعل ذلك الانسان ومات . . وذلك قول خطأ . . لأن هناك الموت ، وهناك القتل . . والله سبحانه وتعالى قال عن رسوله :

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَلَا يَنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أَنْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾

(سورة آل عمران - الآية ١٤٤)

إذن فالموت يختلف عن القتل . . ولكي نفهم هذه الحقيقة نقول أن القتل هو هدم البنية الأساسية للانسان ، فالروح لا تبقى إلا في بنية سليمة تناسب بقاءها . . فإذا هدمت هذه البنية خرجت الروح . . أما الموت فإن له أجلا محددًا لا يتأخر عنه لحظة ولا يتقدم .

والانسان لا يملك جسده . . ولو كان يملك هذا الجسد لكان يسيطر عليه . . ولكن معظم نشاطات الجسد الانساني تتم بدون إرادة منا وبأمر الله . . ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى عاقب المنتحر بالخلود في النار . لأن هذا المنتحر قد قام بهدم بنية هي ليست ملكه . . لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي خلقها ، وهو الذي يملكها . . ولنفس

قانون ما بعد الحياة

السبب حرم الله القتل إلا بالحق . . وقال الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز :

﴿ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾

(سورة المائدة - الآية ٣٢)

وأوعد القاتل بالخلود في النار إذا تعمد القتل بغير ما شرع الله . فإذا مات الانسان خلال مشجرة مثلاً أو مشادة لم يصب فيها بإصابة قاتلة تهدم بنيته ، فإنه في هذه الحالة يكون قد تصادف أجله مع هذه المشجرة ، أو هذا الانفعال . . أما إذا هدمت بنيته الأساسية يكون ذلك قتلاً يستحق القصاص في الدنيا والآخرة .

ولا يستطيع إنسان أن يعرف ما سيحدث مقدماً إلا الأنبياء . . وهم من شاء الله سبحانه وتعالى أن يفتح لهم باباً من أبواب الغيب . . لا يعرف إنسان إن كان مصيره إلى الجنة أو النار . . وفي ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل أهل النار ، وإن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار ، ثم يختم له مله بعمل أهل الجنة » .

ومما يروى في هذا الصدد انه في إحدى الغزوات كان أحد المقاتلين يقاتل مع المسلمين بشجاعة فائقة . . وذهب أصحاب رسول الله

قانون ما بعد الحياة

صلى الله عليه وسلم إليه ممتدحين شجاعة هذا الفارس وإقدامه في سبيل الله . . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هو من أهل النار . . فتعجب الصحابة من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومضت المعركة ، وجرح هذا المقاتل ، ولم يتحمل الجرح . فوضع سيفه تحت رقبته وضغطه لينفذ السيف من رأسه فمات . . وبذلك مات منتحرا . . واستحق أن يكون من أهل النار . . وعاد الصحابة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : نشهد إنك لرسول الله .

ولكن كيف عرقت انه من أهل النار ؟ - قال كان يقتل ليقال عنه إنه شجاع . . وقد قيل .

والمعنى أن هذا المقاتل لم يكن ، وهو في المعركة ، يحارب في سبيل الله . . بل كان يحارب وفي قلبه غرور الدنيا ، حتى يقول الناس إنه شجاع مقدام . . ولذلك لم تكن حربه هذه في سبيل الله ، ولكن لارضاء الغرور الدنيوى .

ومعنى الحديث ان يعمل أحدكم عمل أهل الجنة . . ان الانسان قد يعمل الصالحات في حياته ، حتى يصبح قريبا من الجنة ، ثم يغويه الشيطان . . ويغلبه بريق الدنيا فيترك العبادة ، ويطلق العنان لشهواته ، ويضيع عمله الصالح بالانغماس في المعاصى . . وقد يعصى إنسان الله حتى يكاد يصبح من أهل النار ، ثم يتوب إلى الله فيهدى الله قلبه ، ويتوب عليه ، ويغفر له .

كل العذاب مؤجل إلا ظلم الناس

وكل العذاب في الدنيا مؤجل إلا ظلم الناس . . ذلك ان الله سبحانه وتعالى مؤجل العاصين حسابهم إلى يوم القيامة ما عدا ظلم الناس ، فإن الله سبحانه وتعالى يقتص من الظالم في الدنيا . . ذلك ان الله إذا ترك الظالم يستشري بظلمه انتشر الظلم في الأرض ، وعم الفساد بشكل كبير . . فالفساد الأكبر يأتي من ظلم الناس للناس . . والله سبحانه وتعالى يمهّل ولا يهمل . . ويعطى الظالم الفرصة بعد الفرصة ليتوب . . ويأخذه بالعذاب الأصغر عله يرتدع . . عله يفيق . . فإذا استشري في ظلمه رغم العذاب الأصغر الذي أراه الله له ثم رفعه عنه . . فإنه يأخذه أخذ عزيز مقتدر . . فلقد أخذ الله سبحانه وتعالى فرعون وقومه بالعذاب الأصغر أولاً . . وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴾

(سورة الاعراف - الآية ١٣٠)

ويقول تعالى :

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ ءَايَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ (١٣٦) وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ

قانون ما بعد الحياة

قَالُوا يَمُوسَى اذْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ
لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٣٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ
هُم بَلَغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿١٤٠﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ
بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤١﴾

(سورة الاعراف - الآيات ١٣٣ - ١٣٦)

وهكذا نرى أن الله سبحانه وتعالى قد أخذ آل فرعون بالعذاب .
الأصغر قبل أن يهلكهم بالغرق . . ولكنهم رفضوا أن يرتدعوا بهذه
الآيات . . وكلما رفعت عنهم آية من آيات العذاب الأصغر ، عادوا
إلى كفرهم وطغيانهم . . ولو أنهم بعد أى آية من هذه الآيات تضرعوا
إلى الله ، وعادوا إليه ، فرجما تقبل الله توبتهم إن شاء .

وهكذا نجد أن الله يأخذ الظالم بالعذاب الأصغر قبل أن يهلكه
ويمهله . . فإذا تجبر في الأرض ، وزاد في ظلمه ، فإنه في هذه الحالة
يهلكه . . والسماء تتدخل دائما لتزيل الظلم من الأرض عندما يستكين
الناس للظالم ، ولا يتحركوا لدفع الظلم عن أنفسهم . . ذلك أن
الذين لا يؤمنون بالآخرة يستشرون عادة في ظلمهم . . ولذلك لا بد
أن تتدخل قدرة الله في الحياة الدنيا لتزيح الظالم أو تهلكه ، حتى
لا يستشرى الظلم في الأرض . . وحتى لا يشقى خلق الله بالظالم
حين يزداد في ظلمه وطغيانه . . لذلك فالله سبحانه وتعالى حريص
على أن يرى المظلوم يوما في ظلمه ، وأن يرى المظلوم هذا الظالم الجبار

قانون ما بعد الحياة

مجردا من قوته ذليلا .. تلفظه الأرض كلها .
ولعلنا شهدنا في الفترة الأخيرة حكاما دانت لهم الأرض ..
واستشرى ظلمهم بشعوبهم ، وتدخلت إرادة السماء لتتزع عن هؤلاء
قوتهم وجبروتهم .. وانطلقوا مذعورين خائفين .. لا يجدون مكانا
في الأرض يأوون إليه ، رغم عظم ثرائهم ، ووفرة المال عندهم ..
ترفضهم حتى تلك الدول التي كانت تعينهم على الظلم .
ولعل قصة ماركوس الذي كان حاكما طاغيا في الفيلين .. يقتل
ويدمر ويقيم المذابح .. وبين يوم وليلة وجد نفسه مجردا من
السلطان .. ترفضه دول الدنيا كلها رغم ما يملك من مال .
إذن فالقصاص من الظالم يتم في الدنيا .

الانسان يرى الغيب

بقيت بعد ذلك نقطتان .. الأولى : هي أن الانسان يرى بعد
الموت ما لم يكن يراه في الحياة الدنيا .. وفي تلك يقول الله تعالى :

﴿ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ
حَدِيدٌ ۝۲۲ ﴾

(سورة ق - الآية ٢٢)

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« الناس نيام . فإذا ماتوا انتبهوا » .

قانون ما بعد الحياة

والبصر الحديد هو البصر الحاد الذى يدرك إدراكا أفاقه أوسع لم يكن يدركه .. فكل بصر له مدى أفق معين .. وعندما يبتعد الشيء عن البصر يصغر ويصغر إلى أن يتوارى ويزول .. فلا يعود البصر يدركه .. ولكن هل حقيقة أن الشيء يزول ؟ .. لا .. الشيء موجود فى مكانه .. ولكن مدى البصر هو الذى لا يدركه فنعتقد أنه توارى .

والناس فى الدنيا لكل منهم مدى بصر معين .. حدود لقوة البصر .. فإذا أتيت بشيء واحد ، وجئت برجلين : أحدهما ضعيف البصر ، والآخر قوى البصر ، فإن أحدهما ، وهو صاحب البصر الأقوى ، يرى الشيء .. ولكن ضعيف البصر لا يراه .

ولذلك يريد الله سبحانه وتعالى أن ينبهنا إلى أن هناك أشياء لا نراها فى الدنيا . لأن بصرنا الدنيوى محدود .. ولكن هذه الأشياء موجودة رغم أننا لا نراها .. ورغم أنها غيب عنا .. ولا يخفى هذه الأشياء إلا أن بصرنا البشرى محدود .. فإذا جاء الموت فإنك ترى الأشياء التى كنت تكذبها فى الدنيا .. فكأن الغشاوة قد رفعت عن بصرك .. فأصبحت هذه الأشياء واقعا فى حدود بصرك بعد أن كان على البصر غطاء دنيوى يمنعك من رؤيتها .

وهكذا فإن ما كنت تكذب به تراه الآن ويراه بصرك الذى أصبح اليوم قويا حادا .. ولو أنك أمنت بالغيب لرأيت الآن ما أمنت به واقعا .. ولرأيت كل ما استراه من الغيب الذى حجب عنك رؤية

قانون ما بعد الحياة

إيمانية ، ولكان لك اليوم رصيد إيمان ينجيك من النار . . وهذا لوم
وتقريع لغير المؤمنين . .

أما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا » . .

معناه : أن الناس في الدنيا كالنائم الغافل عن الحقيقة ،
وعما ينتظرهم في الآخرة ، فإذا جاءت لحظة الموت رأى الناس ما لم
يكونوا رأوا فانتبهوا من غفلتهم الدنيوية التي كانوا فيها نياما . .
والنائم لا يدري ما حوله ، ولا يعرف ماذا يحدث . . فلما أفاقوا من
غفلة حياتهم الدنيوية تنبهوا إلى المصير الذي هم ذاهبون إليه ، ورأوا
ما لم يكونوا يرون ، ولكن بعد فوات الأوان .

والنقطة الثانية : هي انه لا موت بعد يوم القيامة . . ذلك انه يؤق
بالموت فيذبح . . فينتهى الموت تماما ، ولا تبقى إلا حياة الخلود .
إلى هنا نكون قد وصلنا إلى نهاية هذا الفصل لنبدأ بعد ذلك في
الحديث عن يوم الدين . . ولماذا وصفه الله سبحانه وتعالى بأنه
يوم . . وما مقدار هذا اليوم ؟ . . ومع معنى الزمن ؟

الفصل الرابع

الله.. والزمن

الله والزمن

لا توجد حيرة تملأ حياة الناس كحيرتهم بالنسبة للزمن . . ذلك لأنهم عاشوا حياتهم كلها مع الزمن فالفوه . . وحددوا أوقاتهم في الدنيا بالزمن فلم يعرفوا غيره . . وكان الزمن تأثير مباشر على حياتهم . . فهم يقيسون به أعمارهم ، وهم يقيسون به أحداثهم . . وهم يتخذونه مقياسا للحياة كلها . . فمواعيدهم ولقاءاتهم وانجازاتهم وكل حياتهم مربوطة بالزمن . . يقولون : سنفعل كذا في يوم كذا . . ويقولون : سنتقابل في الساعة الثالثة أو الرابعة أو السادسة . . أوفى الشهر القادم . . ويحددون عمر ما يفعلونه بالزمن . . فهذا سيستغرق ثلاثة أشهر . . وهذا يستغرق ثلاث سنوات إلى آخر ما نعرفه جميعا .

بل إن العبادات مرتبطة بالزمن . . فصلاة الفجر مثلاً لها وقت . . وصلاة الظهر لها وقت . . وكذلك العصر والمغرب والعشاء . . والحج له زمن أو ميقات معين . . والصوم له زمن أو ميقات معين . . بل إن الزمن يسيطر على حركة الحياة . . والله سبحانه وتعالى قد خلق النهار للسعى إلى الرزق والعمل . . والليل للسكون والهدوء ليسترىح الجسد البشري ، ويجدد طاقته لعمل اليوم التالي . . وهذا قانون من قوانين الحياة . . فالإنسان لا يستطيع أن يعمل ليلاً ونهاراً . . ولو حاول ذلك خلال أيام قليلة لضاعت قواه ، ولم يستطع العمل .

والله سبحانه وتعالى هو خالق الليل والنهار . . وجعل الليل سكناً . . وجعل آية النهار مشرقة بالشمس . . وفي ذلك يقول الله

سبحانه وتعالى :

﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾

(سورة الاسراء - الآية ١٢)

وهذا ليلفتنا الله سبحانه وتعالى إلى أن العين لا تبصر بذاتها .. ولكن لابد أن تدخل إليها أشعة النور لتبصر .. فأنت في الظلام الدامس لا تستطيع أن تبصر شيئا مهما تكن قوة بصرك .. ولكنك في ضوء النهار ، أوفى ضوء المصباح ، تستطيع أن ترى .. ولو كان للعين قوة ابصار ذاتية لأبصرت ليلا ونهارا .

والليل والنهار مقياس من مقياس الزمن .. ولقد ثار جدل كبير حول خلق الليل والنهار ، وأيهما خلق أولا : هل هو الليل أو النهار .. ولقد كان الاعتقاد في الماضي أن الليل قد جاء أولا ، ثم بعده النهار .. ولكن الله سبحانه وتعالى رد على ذلك ، وصحح هذا المفهوم في القرآن الكريم ، فقال سبحانه وتعالى :

﴿ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾

(سورة يس - الآية ٤٠)

وهنا رد الله سبحانه وتعالى وصحح مفهوما خاطئا كان يقول إن

الليل يسبق النهار .. ورد الله سبحانه وتعالى بأنه لا النهار يسبق الليل ، ولا الليل يسبق النهار .. وهكذا بين الله تبارك وتعالى ان الليل والنهار خلقا في وقت واحد .. وفي هذا الليل دليل على كروية الأرض ، وعلى دورانها حول نفسها .. فلو أن الأرض كانت مسطحة ، أو مربعة ، أو على أى شكل آخر ، لخلق النهار أولا ساعة خلق الشمس .. ثم بعد ذلك جاء الليل .. أو لخلق الليل أولا ، ثم بعد ذلك جاء النهار .. ولكن كون الأرض كروية . فإن النهار والليل يوجدان معا على سطح الأرض .. ودوران الأرض حول نفسها هو سر تعاقب الليل والنهار .

واليوم في حياة البشر هو فترة من الزمن تبدأ من شروق الشمس إلى شروق الشمس .. أو من شروق الشمس إلى غروب الشمس .. بعض الناس يطلق على النهار كلمة يوم .. والبعض الآخر يطلق على الليل والنهار كلمة يوم .. وفي كلتا الحالتين هو وصف لفترة من الزمن تحددها علامة معينة من شروق الشمس إلى غروبها .. أو من شروق الشمس إلى شروقها في اليوم التالي .

الزمن له وجود نسبي

الزمن لا يوجد في حياة البشر وجودا مطلقا .. بل هو وجود نسبي .. فكل حدث بالنسبة لنا له زمن محدود ، أو ظرف زمان .. وله مكان محدود يقع فيه ، أو ظرف مكان .. وذلك حتى يستطيع العقل البشرى أن يستوعبه .. ولا يوجد فعل في العرف البشرى يمكن أن يقع إلا في زمن معين ، ومكان محدد .. ولا نستطيع نحن أن نستوعب هذا الفعل إلا بالزمان والمكان .. فكل إنسان منا له تاريخ ميلاد ومكان ميلاد .. وله تاريخ وفاة ومكان وفاة .. وبغير ذلك لا تفهم الأمور .. فنحن عاجزون عن فهم الأمور على إطلاقها .

والإنسان لا يملك الزمن ، ولكن الزمن هو الذى يملكه .. فأنت لا تستطيع أن تأتى بالماضى لتغير شيئا قد حدث فيه .. فما حدث قد انتهى وخرج من قدرتك تماما .. ولذلك فإنك إذا كنت قد ارتكبت أى عمل ، كجريمة قتل أو سرقة ، أو أنفقت مالا ، أو تزوجت ، أو أنجبت امرأتك طفلا .. فإنك لا تستطيع أن تعيد الزمن ، وتمحو هذه الأحداث .. حتى تعود الحياة إلى الشخص الذى قتلته ، أو لا يوجد الابن الذى أنجبته .. أو تستعيد المال الذى أنفقته .. وكذلك كل الأحداث .

الله والزمن

وكما أنك لا تملك القدرة على الماضي ، فإنك لا تملك القدرة على المستقبل .. فأنت لا تستطيع أن تعرف ما هو قادم من شر حتى تتقيه .. ولا ما سيحدث لك من خير ، حتى تستطيع أن تستزيد منه .. ولا الأخطار التي ستقابلها ، حتى تستطيع أن تستعد لها .. ولكنك لا تملك إلا اللحظة التي تعيشها .

والزمن حجاب من أحجية الغيب .. خلقه الله سبحانه وتعالى ليحجب عنا الغيب .. كما أن المكان حجاب أيضا من أحجية الغيب .. وهناك حجاب الزمن الماضي يحجب ما حدث عنك .. حقيقة تستطيع أن تقرأ عنه في الكتب .. وأن تسمع عنه من الرواة .. ولكن كتب التاريخ مليئة بالمتناقضات .. كل يحاول أن يروي من وجهة نظره وعلى هواه .. ورواة التاريخ مختلفون .. فإذا اختلفت الروايات .. فهل تستطيع أن ترى رؤية العين ما حدث في الماضي حتى تصل إلى اليقين .. إنك لا تستطيع . لأن الزمن الماضي حجاب للغيب .. فهو غيب لم تره ولن تراه .

وأمن المستقبل أيضا من حجب الغيب .. فأنت لا تستطيع أن تعرف ماذا يحدث غدا .. ولا تستطيع أن تعلم ماذا يحدث في العالم القادم .. والمكان أيضا من حجب الغيب .. فأنت لا تستطيع أن تعرف وأنت في مكان محدد ماذا يحدث في الأماكن الأخرى من الدنيا .. وهكذا كان الزمن من حجب الغيب .

وأنت لا تستطيع أن توقف الزمن ، لأنه - كما قلت - هو الذي

الله والزمن

يملكك وأنت لا تملكه ، وأنت لا تستطيع أن تبقى طفلا ، ولا أن تبقى شابا لا يؤثر فيك الزمن .. ولكنك تنطلق من الطفولة ، إلى الشباب ، إلى الكهولة رغما عنك .

كل ما نملكه .. لحظة

وهكذا لا يملك الانسان إلا اللحظة التي يعيش فيها .. واللحظة التي مضت هي ماض لا يملكه إلا الله .. واللحظة القادمة هي مستقبل لا يملكه إلا الله .. وإرادتك لا تستطيع أن تجعلك طفلا لا ينمو ، أو شابا لا يصيبه الهرم .. أو إنسانا لا يدركه الموت .. فالزمن يمضي ، وأنت تأتي إلى الدنيا فترة محدودة ، وترحل ، وما تفعله لا تستطيع أن تعيد الزمن لتصحيحه .

ولذلك إذا قلنا « يوم » فهذا قانون دنيوى .. لا تسيطر عليه أنت .. فترة من الوقت لا تستطيع أن تعيدها .. وإذا نحن استطعنا أن نعرف الزمن بالقوانين البشرية .. فإن الزمن بمعناه المطلق غير موجود ، أى أنه نسبى .. مرتبط بالأحداث ، فهو فترة قياس أحداث معينة تقع .. وبدون هذه الأحداث لا يصبح للزمن معنى ولا وجود .

فمعنى زمن طويل أن الحركة التي حدثت فيه واسعة .. ومعنى

الله والزمن

زمن قصير أن الحركة التي حدثت فيه ضيقة وسريعة .. فإذا استعرضت عمرك مثلا .. وقلت إن فترته ستون سنة أو سبعون سنة .. فأنت في الحقيقة تستعرض أحداثا كثيرة ، وحركة حياة واسعة حدثت .. وإذا قلت : إن هذا الشيء لم يستغرق إلا ثوان معدودة .. فأنت تستعرض حركة ضيقة وسريعة .. وبدون الحركة لا يكون هناك معنى للزمن .. ولكن ذلك الذي يغفل عن الزمن بنوم أو بموت لا يشعر بالزمن .. وليس الزمن موجودا في حياته .. فنادرا عندما ينام الانسان أن يستطيع وحده ، دون أن يلجأ إلى ظواهر الزمن كالساعة أو الليل والنهار ، أن يحدد عدد الساعات حين يستيقظ إلا إذا نظر في الساعة .. ولا يستطيع فاقد الوعي لفترة من الزمن أن يحدد الفترة التي قضاها فاقد الوعي .. وكذلك لا يستطيع الانسان عندما يموت أن يحدد مدة الزمن التي قضاها في البرزخ .. ولذلك نجد القرآن الكريم يلفتنا إلى ذلك في يوم البعث في قوله تعالى :

﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ ۖ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ ﴾

(سورة الاسراء - الآية ٥٢)

وقوله تعالى :

﴿ قُلْ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ۚ ﴿١١١﴾ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْئَلِ

الْعَادِينَ ﴿١١٢﴾ قُلْ إِن لَّبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنكُم تَعْلَمُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾

(سورة المؤمنون - الآيات ١١١ - ١١٤)

وقوله تعالى :

﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ۖ يَخَفَتُونَ
بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ۖ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ
أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ۖ﴾

(سورة طه - الآيات ١٠٢ - ١٠٤)

وهكذا نرى أن الله سبحانه وتعالى قد بين لنا في القرآن الكريم أن حياتنا في البرزخ لا تخضع للزمن . . ذلك أننا حين البعث يوم القيامة يسألنا الله سبحانه وتعالى عن المدة التي قضيناها في البرزخ . . فيقول بعضنا : لبثنا يوما أو بعض يوم . . ويقول المجرمون وهم لا يستطيعون تحديد الزمن ، فبعضهم يقول : إنها عشرة أيام ، وبعضهم يقول : إنها يوم ، وبعضهم يقول إنها ساعة . . ولو كان هناك زمن في حياة البرزخ لعرف الذين عاشوا فيه كم قضوا . . ولكن عدم علمهم وتخطيهم يبين أن من يموت . . لا يستطيع أن يحدد الزمن الذي يقضيه في حياة البرزخ . . لأن الزمن لا يقاس إلا بالأحداث .

صورة الزمن .. في القرآن

على أن هناك صورة أخرى أعطاها الله لنا في القرآن الكريم هي سورة الكهف الذين لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين . وازدادوا تسعا .. يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴾
(سورة الكهف الآية ١٢)

ويقول الله :

﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾

(سورة الكهف - الآية ١٩)

في هذه الآيات يريد الله سبحانه وتعالى أن نتنبه إلى قوله الكريم :

﴿ ثم بعثناهم ﴾

وقوله تعالى :

﴿ وكذلك بعثناهم ﴾

الله والزمن

أى أن الايقاظ هنا كان إيقاظ بعث كما سيحدث يوم القيامة . .
وكان الهدف منه أن يلفتنا الله إلى أننا لن نعلم كم من الزمن قد مر
علينا قبل أن نبعث . . ولذلك قال تعالى :

﴿ بعثناهم لیتساءلوا بينهم ﴾

أى أن البعث تم حتى يعرفوا أن تأثير الزمن يمكن أن يوقفه الله . .
ولذلك حين تساءلوا ، وسألوا بعضهم البعض ، لم يكن عندهم
ما يحدد لهم الزمن الذى قضوه خلال فترة النوم . . فحدوده على
أساس العادة . . فالإنسان عادة لا ينام إلا جزءا من اليوم ، أو على
أقصى تقدير يوما بأكمله إذا كان فى غاية الارهاق . . والدليل على أن
قولهم صادق بالنسبة لهم ، أنهم لم يروا تأثير الزمن على أجسادهم ،
ولا على وجوههم . . بل بعثوا على نفس الهيئة التى ناموا عليها .

لو أن بعضهم مثلا نام ، وشعره أسود ، واستيقظ وقد شاب
شعره . . لمساعدته ذلك على أن يقيس الحدث على مدة نومه . . لو أن
أحدهم نام ، وهو شاب ، ثم استيقظ ليجد نفسه كهلا . . فى هذه
الحالة كان من الممكن أن يقيس مدة النوم على مدة الحدث . . حينئذ
تكون هناك أحداث قد حدثت ، وهى انتقال من الشباب إلى
الشيخوخة ، والحدث هو قياس الزمن . . فكانوا حينئذ ولو بالتقريب
يستطيعون أن يحددوا مدة نومهم . . ولكن ماداموا قد استيقظوا على
نفس الهيئة التى ناموا عليها . . إذن ففى هذه الحالة يقيسون الحدث
بالزمن . . كيف حددوا الحدث . . إنهم استخدموا عادة النوم عند

الله والزمن

الانسان . . أومدة النوم ، أقلها بعض اليوم ، وأكثرها يوم كامل ،
لأنه ليس عندهم مقياس للزمن فلا يوجد مقياس للزمن يعيش به
الانسان مادام غائبا عن الأحداث .

طلاقة القدرة توقف الزمن

إذا انتقلنا إلى قصة أخرى أنبأنا القرآن عنها في قوله تعالى :
﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ
بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتُ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ
بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ
وَأَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا
ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ ۖ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾
(سورة البقرة - الآية ٢٥٩)

في هذه الآية يريد الله سبحانه وتعالى أن يلفتنا إلى طلاقة قدرته في
الكون . . وأن الكون الذي يعمل بالأسباب التي خلقها الله فيه
طلاقة القدرة التي هي فوق الأسباب ، فلا يمكن ان تكون الأسباب

الله والزمن

وهي من خلق الله ، قيذا على الخالق سبحانه وتعالى .
مر هذا الرجل على قرية خربت بعذاب من الله أوبذنوب
أصحابها وفسادهم .. فتعجب ! كيف والأرض قد ماتت وذهبت
منها كل آثار الحياة من إنسان وحيوان ونبات .. كيف سيجي الله
هذه الأرض التي ليس فيها أى مقومات للحياة ؟

وحيث أن أرادت مشيئة الله أن تريه هذا بالتجربة ، وأن يلفتنا إلى
قدرة الله سبحانه وتعالى ، فأماته الله مائة عام ، ثم بعثه .. ولما
استيقظ وعادت الحياة إليه ، لم يكن فيه شىء قد تغير .. بل استيقظ
على نفس الهيئة التي مات عليها .. استيقظ شابا قويا لا شىء حوله
يستطيع أن يقيس عليه الزمن .. وحيث سأل الله : كم لبثت ؟ فقال
قياسا على عادة النوم عن الانسان . وربما أكون قد نمت يوما ، وربما
نمت بعض اليوم .. ولذلك كان صادقا مع نفسه حين قال : لبثت
يوما أو بعض يوم .. حيث أنبأه الله سبحانه وتعالى أنه قد لبث مائة
عام .. ولكي يعطيه الدليل المادى على ذلك قال :

﴿فانظر إلى طعامك وشرابك﴾

فوجد الطعام لم يتغير .. ثم طلب الله منه أن ينظر إلى حماره ..
فوجد أن الحمار قد مات ، ولم يبق منه إلا عظاما نخرة .. أى أنه
مات .. ثم تعفن ، ثم تحلل ، حتى أصبح عظاما نخرة ، فقال : إن
ذلك لا يمكن أن يحدث فى يوم واحد .. بل لابد له من فترة
طويلة .. فلما تبين له ذلك أعطاه الله آية بأن جعله يشهد عودة

العظام النخرة ، وعودة الحياة إلى حمارة .. فقال الرجل :

﴿ أعلم أن الله على كل شيء قدير ﴾

ولقد كان مرور الزمن على الحمار وتوقف الزمن عن الطعام .. آية بأن الله سبحانه وتعالى يستطيع بطلاقة قدرته أن يجعل الزمن يمضي أو يقف . بذلك قد وصلنا إلى أن مقياس الزمن هو الأحداث التي تقع فيه .. وأن الانسان إذا كان فاقد الوعي ، أوفى حياة البرزخ ، لا يستطيع أن يحدد الزمن .. وهنا يقف الزمن .. أي لا يكون هناك زمن ..

إذن فالزمن شيء نسبي في الحياة .. وهو كما لا نحس به عندما ننام ، ولا نستطيع أن نحدده .. كذلك في حياتنا في البرزخ لا نستطيع أن نحدد الزمن ، لأنه لا زمن في هذه الحياة .

ما معنى يوم القيامة

نتنقل بعد ذلك إلى أن الله سبحانه وتعالى أطلق على البعث ووصفه بأنه يوم ، فقال سبحانه وتعالى : يوم القيامة .. ويوم الدين .. وكلمة يوم يمكن أن تؤخذ بأنها موعد . غير أن بعض الناس يتساءلون : كيف يمكن أن يطلق الله لفظ يوم وهو لا يحده زمان ولا مكان .. وليس هناك زمن .

إن هذا الاطلاق له أكثر من معنى .. فيمكن أن نقول إن هذا تنبيه بأن الحساب سيمضى بلا توقف .. بمعنى أنه لن يتوقف الحساب ليسترىح الناس ويناموا .. ثم يستأنف في اليوم التالى كما يحدث فى عالمنا البشرى .. ويقرب الله هذا إلى أذهاننا فيطلق اسم يوم .. على أساس أن العمل يستمر طوال النهار ثم يتوقف ليلا . ولكن الذى يجب أن نفهمه أن كلمة يوم عند الله لا يحدها زمان .. أو لا يحدها وقت .. الله سبحانه وتعالى يقول فى كتابه الكريم :

﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ (٤٧)

(سورة الحج - الآية ٤٧)

ويقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ (٤)

(سورة المعارج - الآية ٤)

وأمام هاتين الآيتين لابد أن نتوقف قليلا .. كيف يكون اليوم عند الله سبحانه وتعالى مدته مرة ألف سنة ؟ ومرة خمسون ألف سنة ؟ .. وأى مقياس لليوم عند الله .. هل يوم القيامة يساوى يوما من أيام الدنيا .. أو يساوى ألف سنة - أو يساوى خمسين ألف سنة - إن ذلك يلفتنا إلى حقيقة هامة .. تفهمنا معنى اليوم فى استخدامه مع يوم القيامة .

الله والزمن

إذا أردنا أن نعرف المعنى المطلق للزمن ، فإنه كما قلنا لا يوجد معنى مطلق .. ذلك أن الله سبحانه وتعالى هو خالق الزمن .. ولذلك فإنه يستطيع أن يخلق يوماً مقداره ساعة .. ويوماً كأيام الدنيا مقداره أربع وعشرون ساعة .. ويوم مقداره ألف سنة .. ويوما مقداره خمسون ألف سنة .. ويوما مقداره مليون سنة .. فذلك خاضع لمشيئة الله .

ويوم الدين موجود في علم الله سبحانه وتعالى .. بأحداثه كلها .. بجنته وناره .. وكل الخلق الذين سيحاسبون فيه .. وعندما يريد الله سبحانه وتعالى لهذا اليوم أن يكون ويخرج من علمه إلى علم مخلوقاته .. سواء كانوا من الملائكة أو البشر أو الجان .. يقول الله سبحانه وتعالى لهذا اليوم :

﴿ كن . ﴾

فيخرج من علمه إلى علم خلقه .. أو يخرج من علم الله الأزلى ، إلى علم غير الله المحدود .. والله سبحانه وتعالى لا يحده يوم ولا زمان ، ولا مكان .. ولكنه إذا قال هذا يوم الدين .. كان ذلك يوم الدين .. فإذا أراد الله أن يحدث في هذه الدقيقة ، حدث في هذه الدقيقة .. وإن أراد يحدثه بعد ألف عام ، يحدث بعد ألف عام .. وإن أراد أن يظهره بعد مليون سنة ، حدث بعد مليون سنة .. فيوم الدين موجود في علم الله بكل مواصفاته من زمان

ومكان ، وطريقة بعث وحشر ، وطريقة حساب وجنة ونار . . كل هذا في علم الله . . والله وحده هو خالق هذا اليوم . . وهو وحده الذى يحدد كل أبعاده .

اليوم في حياة البشر

ونحن إذا قلنا « يوم » بمنطق البشر فهذا قانون دنيوى . . يحكمنا ولا نحكمه . . يسيطر علينا ولا نسيطر عليه . . حقبة من الزمن تمر ، سواء أردنا أو لم نرد بأحداثها ووقائعها ، وكل ما يتم فيها . . هذا هو المنطق البشرى . . ولكن الله سبحانه وتعالى فوق هذه القوانين كلها . . انه هو خالقها يأمرها فتطيع .

إذن فيوم الدين يتم بمقاييس الله سبحانه وتعالى يضعها هو بزمن يخلقه في مواعده . . والله سبحانه وتعالى يريد أن ينبهنا باختلاف المقاييس في الآخرة عن مقاييس الدنيا . . فكما أننا قد بينا أن القوانين تختلف بين النائم والمستيقظ . . فإن القوانين أيضا تختلف يوم القيامة . . والله سبحانه وتعالى يريد أن ينبهنا إلى ألا نأخذ شيئا في يوم القيامة بمقاييس الدنيا . . فنحن سنرى ما كان محجوبا عنا . . وسنشهد ما لم نشهده في حياتنا الدنيوية . . وستكون هناك أحداث تقع لم نكن نتخيل أنها موجودة . . ولذلك إذا أراد الله أن يخلق يوما كيوم القيامة مقداره ألف عام لاستطاع . . ولو أراد أن يفرق بين هذا

الله والزمن

اليوم وغيره .. بأن يجعله مليون سنة ، فإن ذلك يحدث .. إذن
فلا نأخذ نحن ، ولا نحاول أن نحدد مقاييس يوم القيامة بمقاييسنا
الأرضية .. بل علينا أن نبتعد عن ذلك تماما .. ولنأخذ تحديد الله
لليوم بأنه الفترة التي يقتضيها حساب الناس جميعا .. أى أنها فترة
أحداثها تبدأ بالبعث .. وتنتهى بانتهاء محاسبة الخلق . وبقدر ما شاء
الله لهذه الأحداث أن تمتد ، فذلك هو يوم القيامة .. الذى يحده
بداية ونهاية هو البعث من القبور ونهاية الحساب .. هل يتم ذلك فى
ساعة أو فى مليون سنة .. لا أحد يستطيع أن يحدد لأن مشيئة الله
سبحانه وتعالى هى التى تحدد ذلك اليوم .

وكما اننا قد عرفنا اننا نغيب عن الزمن بحيث يبعث الذين ماتوا
منذ بداية عمر حياة الانسان .. فلا يعرفون كم قضوا فى البرزخ ..
ويقولون انه يوم أو بعض يوم .. مع انه قد يمتد بحسابنا البشرى إلى
مئات الألوف من السنين .. وربما ملايين السنين .. فكذلك يوم
القيامة لا تحده المقاييس التى نعيش بها .. ولا قدرات الدنيا ..

بعض العلماء يقول : ان الناس فى الآخرة سيتعرضون لأهوال ،
ويرون أشياء لم يكونوا يرونها كالملائكة والشياطين .. بل إن الناس
سيرون من كان قبلهم فى الدنيا ، ومن أتى إليها بعدهم .. وهؤلاء
وهؤلاء لم يكونوا قد رأوهم من قبل .. نقول : إننا لا نريد أن
نتجاوز ، لأن يوم القيامة ينتهى فيه إلف الحياة الدنيا .. أى ما ألفنا
فى الدنيا كالليل والنهار والبحار والجبال والنجوم والشمس والقمر

الله والزمن

كل هذا سيختفى وسينتهى . ونحن سنخرج من هذه الأرض ، ثم بعد ذلك نحشر في أرض المعاد . . ولكن ما قضينا معه عمرنا . . كل هذا سيتهى تماما . . وذلك إذا تنبهنا لعلامات القيامة في قول الله سبحانه وتعالى :

﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ۝٢
وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤ عَلِمْتَ نَفْسًا
قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾

(سورة الانفطار - الآيات ١ - ٤)

وقوله تعالى :

﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا الْجِبَالُ
سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥
وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ ﴾

(سورة التكوير - الآيات ١ - ٦)

إذن فكل الحياة التي ألفناها من شمس وبحار وجبال ونجوم ستختفى وتنتهى تماما . . وكل المقاييس الدنيوية ستزول . . ولا يمكن لنا أن نستخدم مقياسا دنيويا مما ألفناه في مقاييس الآخرة .
نكون هنا قد وصلنا إلى توضيح معنى اليوم . . وقد شاءت رحمة

الله سبحانه وتعالى أن يعطينا في القرآن الكريم من المعاني التي تقرب
إلى أذهاننا ما هو غيب عنا ، وذلك رحمة بعقولنا . . وحتى لا تتيه
وتضيع .

وانتهت الأسباب فلا تعمل

والله سبحانه وتعالى وصف نفسه في القرآن الكريم بأنه مالك يوم
الدين . . ومالك الشيء هو المتصرف فيه وحده . . ليس هناك دخل
لأى فرد آخر فيه . . أنا أملك عباءتي : وأملك متاعى ، وأملك
منزلى . . وأنا المتصرف في هذا كله وحدى . . والذي أحكم فيه
جميعه . . فمالك يوم الدين معناها أن الله سبحانه وتعالى سيصرف
أمور العباد في ذلك اليوم بدون أسباب أى أن كل شيء سيأتى من الله
مباشرة . . بدون أن يستطيع أحد أن يتدخل ولو ظاهرا . . ففى
الدنيا يعطى الله الملك ظاهرا لبعض الناس . . ويولى بعض الناس
ظاهرا أمر بعض . . ولكن فى يوم القيامة ليس هناك ظاهر . . الأمر
مباشر من الله سبحانه وتعالى . . ولذلك يقول الله فى وصف يوم
الدين :

﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴾ (١٩)

(سورة الانفطار - الآية ١٩)

الله والزمن

لقد خلق الله الأسباب في الدنيا لتمضى بها الحياة .. ولكن في الآخرة لا توجد أسباب ، والأمر مباشر من الله .

والملك في ظاهر الدنيا يهبه الله لمن يشاء ، مصداقا لقوله تعالى :

قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ

وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ﴿٢٦﴾

(سورة آل عمران - الآية ٢٦)

ولعل كلمة « تنزع » التى استخدمها الله سبحانه وتعالى تلفتنا إلى أن أحدا في الدنيا لا يرحب ولا يريد أن يترك الملك .. ولكن الملك يجب أن ينتزع منه انتزاعا .. أى رغما عنه ، ورغما عن إرادته .. والله هو الذى ينزع الملك ممن يشاء .

ولعل بعض الناس يتساءل : هل الملك في الدنيا والآخرة ليس لله ؟ .. نقول .. الأمر في كل وقت لله .. ولكن الله قد استخلف بعض خلقه .. أو مكنهم من ملك في الأرض .. فجعل لهم ملكا ظاهريا .. ومعنى ذلك أنه ملك ظاهر للناس فقط على انه للبشر .. ولكنه في حقيقته ليس نابعا من ذات من يملك .. ولكنه نابع من أمر الله .. ولو انه كان نابعا من ذاته من يملك وقدراته لبقى له .. ولم ينتزع منه .. ولكن انتزاع الملك ممن يملك دليل على انه لا يملكه بذاته وقدراته ، ولكنه مستخلف فيه بأمر الله .. ولهذا حكمة .. فالملك الظاهر يمتحن فيه العباد .. يمتحن فيه من يملك ، لأن الله سبحانه

الله والزمن

وتعالى يحاسبه يوم القيامة على كيف تصرف في ملكه وإداره .. وهل طبق في ذلك منهج الله أم انطلق يفسد في الأرض .. ويمتحن فيه الناس .. هل سكتوا على الحاكم الظالم ؟ .. وهل استكانوا للظلم ؟ .. وهل استحبوا المعصية ؟ أم أنهم وقفوا مع الحق وضد الظلم ؟ .. وهو لا يمتحن هؤلاء لأنه لا يعلم المصلح منهم من المفسد .. ولكنه يمتحنهم ليكون كل منهم شهيدا على نفسه ، حتى لا يأتى واحد منهم يوم القيامة .. ويقول يارب : أنك أعطيتنى الملك لا تبعث الطريق السوى ولطبقت منهجك .. ولكن حتى لا يجادل إنسان ، ويكون كل شخص شهيدا على نفسه يوم القيامة . خلق الله الأسباب في الدنيا ، وخلق الملك الظاهرى .

علم الله .. وأحداث الدنيا

وبعض الناس يتساءل عما إذا كان الله سبحانه وتعالى يعلم كل شيء ، فهل هو محتاج لأن يمتحننا في الدنيا ؟ .. والجواب طبعا لا .. ولكننا إذا أردنا أن نضرب مثلا يقرب ذلك إلى الأذهان ، والله المثل الأعلى ، نقول إن الجامعات في كل أنحاء الدنيا تقيم الامتحانات لطلابها .. فهل أساتذة الجامعة يجهلون ما يعرفه الطالب ، ويريدون أن يحصلوا منه على العلم ؟ .. طبعا لا .. ولكن ذلك يحدث . حتى إذا رسب الطالب في الامتحان ، وجاء

الله والزمن

يجادل ، واجهوه بإجاباته فيسكت . . ولوانه لم يعقد مثل هذا الامتحان . . لا دعى كل طالب انه يستحق مرتبة الشرف . . ولولم يجعل الله الملك ظاهريا في الأرض . . ويجعل في ظاهر الأشياء أن هذا يعطى وهذا يمنع . . وهذا يستطيع أن يعطيك المال والخير . . وهذا يستطيع أن يأخذه منك . . لما اندفع ضعاف النفوس من الناس لارضاء البشر على حساب الله . . ولما وجد الاغراء بالمعصية ، واستحق الناس الذين يلتزمون منهج الله دخول الجنة .

إذن فظاهر الأشياء في الدنيا تقتضيه طبيعة الحياة الدنيا من أنها امتحان يمر به الانسان . . ليوصله إلى الجنة ، أو إلى النار . . أما في الآخرة فظاهر الملك يختفى ، والأسباب تختفى ، ولا يملك إنسان لانسان أمرا ولو كان ذلك ظاهرا .

إلى هنا نكون قد تحدثنا عن معنى الزمن ، ومعنى يوم الدين . . والاختلاف بين قوانين الدنيا ، وقوانين البرزخ ، وقوانين الآخرة . . ونبدأ في الحديث عن علامات الآخرة . . أوعلامات الساعة التي حدثنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتي تحققت .

الفصل الخامس

علامات الاعتراف

علامات الساعة

رسول الله صلى الله عليه وسلم له نبوءات كثيرة عن اقتراب الآخرة .. وهذه النبوءات .. تحقق معظمها ، وأصبح واقعا نعيش فيه بعد أن كان غيبا عمن عاصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعاشوا معه .. ونحن نصدق هذه النبوءات جميعا ، ما تتحقق منها مل ومالم يتحقق ، لأنه مادام رسول الله قد قال ، وهو الصادق الأمين ، فلابد أنها هي الحق .

ولقد كشف الله من غيبه لرسوله الكثير .. وأطلعه على ما هو قادم ، ولكن ليس معنى هذا أن يدعى أحد أنه يعرف الغيب .. ذلك أن تلك خصوصية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحده .. فهو موحى إليه من السماء .. وقد أسرى به إلى سدرة المنتهى ، وأطلع ورأى وعرف أشياء لم يطلع عليها غيره .

وإذا كنا نتحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فإنه رسول آخر الزمان .. ومعنى ذلك أنه الرسول الخاتم الذى لن يأتى رسول بعده حتى يوم القيامة .. ومعنى ذلك أيضا أن رسالته تستمر فى الأرض إلى آخر يوم من أيام الزمن .. والزمن - كما قلنا - مقياس أرض ينتهى بانتهاء الدنيا .

وهناك نبوءات لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن أحداث قريبة وقعت بعد وفاته .. فقد تنبأ بانتشار الدولة الإسلامية شرقا وغربا .. وقامت الدولة الإسلامية فى مشارق الأرض ومغاربها .. ولم تمتد شمالا إلى أوربا ولا جنوبا .. وتنبأ بواقعه الجمل ، كما تنبأ بمقتل

علامات الساعة

الحسين وغير ذلك .. ولكننا لن نتعرض للنبوءات القرية التي تحققت .. وإنما ستعرض للنبوءات التي تحققت في هذا الزمان .. أوعلى وجه الدقة لبعض هذه النبوءات ، لأن المجال لا يتسع لها كلها .

عندما ترى هوى متبعا

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا رأيت هوى متبعا ، وشحا مطاعا ، وإعجاب كل ذى رأى برأيه ، فانتظر الساعة) .

هنا في هذا الحديث ثلاثة أشياء : أولها الهوى المتبع .. ما معنى الهوى المتبع ؟ .. لقد أنزل الله سبحانه وتعالى للناس منهجا يحكم حركة حياتهم .. ومنهج الله هو الذى ينبغى أن يسود إذا أرادت البشرية أن تحصل على الحياة الآمنة المنسجمة فى الأرض .

ولقد طبق المسلمون الأوائل منهج الله .. فسادت الحضارة الاسلامية العالم أكثر من ألف سنة .. وقادت الحضارة والعلم ، وكان الرقى والتقدم والازدهار للمسلمين وحدهم المتبعين لمنهج الله .

ثم بدأ المسلمون يتعدون عن المنهج وعن تطبيقه .. لأن الدنيا اجتذبتهم .. وأصبح لكل واحد منهم هوى فى الدنيا .. رغبة

علامات الساعة

تناقض منهج الله وتنقضه ، ولكنه يفعلها ليرضى أهواء نفسه ..
ويحقق منافع ذاتية لذاته .. فكل واحد في الدنيا يريد المال .. والله سبحانه وتعالى قد وضع منهجا للمال .. بأن ما يأتي منه عن طريق حركة الحياة يكون هو الحلال .. أى ما يتأتى منه بالعمل ، سواء أكان ذلك عملا مباشرا ، أم عن طريق المشاركة ، ولكن الناس تريد المال بلا عمل .. وهذا مناقض لمنهج الله .

ولكى يحقق الناس هذا النفع الذاتى نقضوا منهج الله .. وأصبح الواحد منهم يتفنن فى الحصول على المال الحرام .. إما بالسرقة ، أو بالنصب ، أو بالتحايل ، أو بفعل ما يغضب الله .. هذا نوع من الهوى المتبع .

نوع آخر .. الانسان يريد أن يعتدى على حرمان غيره ليحقق لذاته متعة وقتية .. والله يحرم ذلك .. ومنهج الله لا يقره .. وهنا يدخل الهوى المتبع .. فبدلا من أن يطبق الناس منهج الله ، ويغضوا أبصارهم انطلقوا وراء شهواتهم ، ونقضوا منهج الله لحركة الحياة .

إذن لم يصبح منهج الله هو الذى يحكم .. ويرجع الناس إليه فى افعل ولا تفعل .. بل أصبح ما يريد أن يحققه كل إنسان لذاته هو الذى يحكم .. وفى هذه الحالة ينسى الناس التكليف ، ويتعدون عنه ، ويجعلونه وراء ظهورهم ، ولم يعد يسيطر على حركة الحياة فى الدنيا إلا هوى النفس .. وأصبح أى إنسان يستبجح أى شئ ، وأى عمل فى حركة الحياة ليحقق لنفسه مالا أو نفعا .. ومادام هوى

علامات الساعة

إذن يكون الخلاف هو السائد .. ونكون قد نقضنا منهج الإيمان .. لأنه كما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » .. وإذا اصطدمت أهواء الناس في الحياة .. تفسد الحياة الدنيا .. لأننا في هذه الحالة نخضع الحق للهوى .. أى يكون الحق فى يدنا لعبة نشكلها كما نشاء ، بحيث تحقق لنا ما نريد .. وينطبق علينا قول الله سبحانه وتعالى :

النفس هو الذى يحكم الحياة ، وليس منهج الله .. تصبح حركة الحياة متعاندة .. وصراع الحياة مريرا .. هذا يريد ، وهذا يريد ، ولا تتفق النفوس أبدا .. ويشقى الانسان فى الأرض .. لأن حركة الحياة لا تستقيم إلا إذا كان هناك أمر تصونه ويصونك .. ونجتمع عليه جميعا .

﴿ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾

(سورة المؤمنون - الآية ٧١)

لماذا ؟ لأن هوى كل واحد منا يخالف هوى الآخر .. ولكن الحق واحد لا يتغير .. ومن هنا فهذا يريد .. وهذا يغير .. وهذا يغير .. وما جاء الدين إلا لعصمة حركة الحياة من أهواء الناس حتى يكون هناك حق واحد ، فتتجه جميعا إلى عمل لا يتعارض .. ولكن يتعاصد .. أى يكمل بعضه بعضا .. ويتساند ، أى يقف بعضه مع بعض حتى تستقيم الدنيا .

فإذا رأيت هوى متبعا .. فاعلم أن منهج الله لا يحكم حياة
الانسان في الكون ، وعندئذ انتظر الساعة .

ما هو ..

الشح المطاع ؟

الأمر الثاني حين ترى شحا مطاعا .. والشح هو البخل .. ومعنى
ذلك بخل النفس عن أن تعطى .. وفي هذه الحالة تحدث النفس
صاحبها أنه لو انفق لذهب ماله .. واغواء الشيطان في هذه الحالة
يكون هو الغالب والحاكم على سلوك الانسان ، مصداقا لقوله
سبحانه وتعالى :

﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ
وَفَضْلًا ۚ ﴾

(سورة البقرة - الآية ٢٦٨)

يبخل الناس بما لهم فلا ينفقونه في سبيل الله ، ولا يعطونه للفقير
والمحتاج .. ولا ينفقونه فيما ينفع الناس .. وحينئذ يختل المقياس
الاقتصادي .. ويصبح هناك غنى فاحش ، وفقير مدقع .
ولا بد أن نتنبه إلى أن شح الحياة ليس معناه الشح المالى فقط ..

ولكن معناه العام .. شح أو بخل كل ذى قدرة بقدرته وجهده .. فتجد العامل يستطيع أن يعمل ، ولكنه لا يعمل .. والموظف يستطيع أن ينتج ، ولكنه لا ينتج .. وكل عمل فيه جهد يبخل العاملون فيه بجهدهم .. فهناك بخل من ذى القدرة بجهدده .. وبخل من ذى العلم بعلمه .. أى أن العامل أو المعلم أو الأستاذ قد يملك العلم الكثير والغزير .. ولكنه يبخل أن ينقل هذا العلم إلى طلبته .. أو إلى من يدرسون العلم على يديه .. بل لا يعطيهم من علمه إلا قدرا بسيطا جدا .. وشح ذى الجاه بجاهه .. أى أن الانسان يكون فى مجتمعه مسموع الكلمة ، مطاع الأمر .. ولكنه يرفض أن يستخدم ما وهبه الله له من هذا الجاه فى مساعدة المحتاجين .. أو فى انصاف المظلومين .. أو فى تمكين الضعفاء من حقوقهم .. فيأتى إليه المحتاج ، وهو يستطيع أن يقضى له حاجته بكلمة واحدة .. ولكنه لا يفعل .. بل يتركه بدون أن يقضى له حاجته .. ويأتى إليه المظلوم .. ويعرف ذو الجاه أن هذا المظلوم قد وقع عليه ظلم .. وهو يستطيع بكلمة واحدة أن يزيل هذا الظلم ، ولكنه لا يفعل .. ويظل المظلوم يرجو ، وذو الجاه أو السلطان لا يفعل شيئا .. ويأتى الضعيف إلى صاحب الجاه يطلب منه أن يمكنه من حقه ، ويستطيع صاحب الجاه أن يفعل .. ربما بتوقيع صغير منه يستطيع أن يعيد لهذا الضعيف حقه ، ولكنه لا يفعل .

وهكذا فى كل أوجه الحياة تجد شحا مطاعا .. فكل إنسان يبخل بجهدده على غيره ، حتى ولو كان هذا الجهد لا يكلفه شيئا .. وأقل

علامات الساعة

الشح هو شح المال . . وأكثر الشح ضررا هو شح النفس في أن كل إنسان لا يعطى المجتمع الذى يعيش فيه ما عنده .

وبذلك يتدهور المجتمع ، وتزداد مشاكل الناس تعقيدا . . ولا توجد لها الحلول . . فمادام الشح المطاع هو الذى يحكم . . فالمجتمع كله ينحدر بسرعة إلى هاوية عميقة . . حتى لو وجدت أقلية تعطى ما عندها من مال وعلم وجاه إلى آخره . . فإن الأكثرية التى لا تعطى تفسد جهود الأقلية التى تعطى ، وتجعلها جهودا غير مؤثرة .

حديث القرآن عن الشح

ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى قد ذكر لنا في القرآن الكريم مسألة الشح في ثلاث آيات . . في قوله تعالى :

﴿ وَإِنْ أَمْرَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (١٢٨)

(سورة النساء - الآية ١٢٨)

علامات الساعة

وقال تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾
(سورة الحشر - الآية ٩)

وقال تعالى :

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ ﴾
(سورة التغابن - ١٦)

وهكذا نرى في الآيات الثلاث أن الشح لا ينطبق على المال فقط .. ولكنه ينطبق على كل نشاطات الحياة .. ففي الآية الأولى ينطبق على المعاملة مع الزوجة ، وعلاقة الزوج بها .. والله سبحانه وتعالى يطالبنا في علاقتنا بالسماح وليس بالتشدد .. ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « رحم الله رجلا سمحا إذا باع ، سمحا إذا اشترى ، سمحا إذا اقتضى » .

والآية الثانية في سورة الحشر يبين الله سبحانه وتعالى فيها السماحة التي لا بد أن تقوم في المجتمع الاسلامي .. تلك السماحة التي تقيم

علامات الساعة

المجتمع على أساس المحبة .. وقد نزلت هذه الآية في الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة .. وتركوا أزواجهم وأولادهم ، وكل ما يملكونه في مكة .

انظر إلى السماحة في هذا الظرف غير العادى ، أو هذا الظرف القهرى .. مجموعة تملك كل شيء .. ومجموعة ليس لديها شيء ، حتى الزوجات أو النساء .. والرجل قد يفرط في شيء . وقد يعطى من كل شيء : من ماله وعلمه وجهده .. ولكن لو وصلت المسألة إلى الزوجة ، أو الزوجات ، فإنها في هذه الحالة تكون شديدة جدا على النفس .. ولكن الأنصار كان الواحد يذهب إلى أحد المهاجرين ، ويقول له : هذا مالى فخذ نصفه . وهذه دارى نقتسمها معا .. وهؤلاء زوجاتى انظر إليهن .. أحبهن إلى نفسك أطلقها وتزوجها .

وهكذا وصل العطاء في هذا الظرف غير العادى إلى حدود غير عادية .. ولكن ذلك تم حتى لا يكون المجتمع الاسلامى بادئا بمجتمع فيه فقر مدقع ، وغنى فاحش .. فيه متزوجون ورجال بلا زوجات ، فقد تشيع الفاحشة .. وألا يقوم هذا المجتمع على الحق ، لأن من لا يملك سيحقد على من يملك .

والآية الثالثة في الايمان والتقوى .. وذلك حتى يعطى الانسان الطاقة التى يستطيعها للايمان والعبادة ، ولا يكون شحيحا في صلاته .. يقول : سأصلى الفرض وحده ، ولن أصلى السنة ..

علامات الساعة

أوشحها في زكاته وصدقته .. فيقول ، وهو يملك الكثير ، لن أخرج من زكاة المال إلا ما هو مفروض بدون أن أزيد عليه قرشا واحدا .. وكذلك في كل متطلبات الايمان من الله سبحانه وتعالى .. يعد الله بالأجر العظيم من يزيدون فيها ولا يبخلون .. بشرط أن تكون الزيادة من جنس ما فرض من العبادة ..

ومعنى قوله تعالى : ﴿ وأحضرت الأنفس الشح ﴾ أن الله سيسأل الناس يوم القيامة عما فعلوه بالمال الذي وهبهم إياه .. وبالعلم الذي أعطاه لهم .. وبالجاه والسلطان الذي جعلهم مستخلفين فيه .. وفي ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن شبابه فيما أبلاه ، وعن عمره فيما أفناه ، وعن علمه ماذا عمل به ، وعن ماله من أين اكتسبه ، وفيما أنفقه) .

على أننا لا بد أن نتساءل : لماذا يكون الشح المطاع نقضا لمنهج الله في الأرض ؟ .. لأن الله سبحانه وتعالى قد جعل للبشرية حضارة وتقدما .. وهذه الحضارة والتقدم لا يتمان إلا إذا أعطى كل جيل كل ما عنده للجيل الذي بعده .. وحينئذ يبدأ الجيل الجديد من النقطة التي انتهى إليها الجيل الذي قبله .. ثم يضيف إليه .

وعدم عطاء أى جيل كل تقدم في الحياة للجيل الذي بعده سيوقف تقدم الحضارة والعلم .. ويؤثر على تقدم البشرية كلها .. والله قد وضع منهاجا يحقق تقدم الانسان في الحياة ورفيها .. وشح النفس يمنع

تطبيق هذا المنهج وينقضه .

إعجاب صاحب رأى برأيه ..

والأمر الثالث إعجاب كل ذى رأى برأيه .. ما هو الرأى ؟ ..
الرأى هو الذى يمثل هوى النفس الداخلى .. أى ما تخفيه فى نفسك
من أهواء وأطماع ولا تعلنه للناس .. ولكنك تصل على تحقيقه بأراء
تبدىها .. تحاول أن تضع فى ظاهرها المصلحة العامة .. بينما هى فى
الحقيقة محاولة لتحقيق ما تخفيه من أغراض .. حينئذ تختلف الآراء
فى الشئ الواحد .. فيصبح لهذا رأى ولهذا رأى .. ولهذا رأى ..
وكل الآراء التى تسمعها هى آراء بعيدة عن الحق والحقيقة .. وكل
إنسان متمسك برأيه يحاول أن يدافع عنه دفاعا مستميتا .. وفى هذه
الحالة عندما تختلف الآراء لا تعرف أين الحق .

ولا يلتفت كل هؤلاء الذين يدلون بأرائهم إلى رأى المشرع ،
ولا رأى منهج الله .. بل يصبح كل تشريع يطبق على أساس المطامع
التي يخفيها كل إنسان فى صدره .. والتشريع الواحد يطبق مئات
التطبيقات المتعارضة المتناقضة .. وكل من يطبق متمسك برأيه ..
معتز به .

حينئذ تتعاند حركة الحياة وتصطدم .. ويصبح الناس فى فوضى

علامات الساعة

لا يعرفون ماذا يفعلون .. الشيء محدد .. ولكن الأغراض التي يخفيها الناس في صدورهم ، ويحاولون تحقيقها عن طريقه ، متناقضة ومتباعدة .. بحيث تجعل حركة الحياة نفسها لا تستقيم ولا تعادل .

وإذا نظرنا إلى ما يحدث الآن .. نجد أننا في بعض الأحيان نرى أناسا يعرفون أن الرأي الذي يقال هو الحق .. ومع ذلك فإنهم مع إعجابهم برأيهم ينقضون هذا الحق برأى باطل .. ومع أنهم يعرفون أن هذا الرأي الذي يقولونه باطل ، إلا أنهم يتمسكون به ، ويدافعون عنه زهوا وإعجابا .. بأن الرأي الذي سيؤخذ به هو رأيهم هم ، مهما يكن رأيهم مخالفا للحقيقة ، ومتصادما مع الحق .

بل انهم يفاخرون بعد أن تنتهى الجلسة وتنفض .. بأنهم قد استطاعوا أن يرفضوا رأيهم على غيرهم .. ويقولون زهوا : لقد أخذ الجميع برأينا .. وقد يقضى موظف كبير برأى ما . فإذا جاء من هو أقل منه في المنصب ، وأبدى رأيا مخالفا يتفق مع الحق .. فإن هذا الموظف الكبير يرفض الرجوع عن رأيه مع أنه باطل ، ويصر عليه وعلى تنفيذه ..

وهكذا يضيع الحق في الدنيا بين إعجاب كل ذى رأى برأيه .. ويصبح ما يتخذ من قرارات أو قوانين لا يمثل الحق .. ولكنه متخذ من آراء تتمسك بالباطل ، وتعز بالإثم .. فلا يحكم الحق الدنيا .. والله سبحانه وتعالى .. يريد أن يكون الحق هو الحاكم .

علامات الساعة

عندما تلد

الأمة ربتهـا

ومن علامات الساعة التى أنبأنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بها هى (أن تلد الأمة ربتهـا) .. ولقد فسر هذا الحديث تفسيرات كثيرة ، فقالوا : إن معناه أن يتعلم أولاد الفقراء ، ويصبحوا من ذوى المناصب الهامة ، فتتكر الابنة لأمها .. وتجد أنه من العار أن تعترف أنها ابنة هذه الأم فتجعلها خادمة عندها .. وقيل إن المقصود به أن الابنة إذا تزوجت رجلا غنيا أصبحت أمها خادمة عندها . ولكننى أعتقد أن هناك تفسيراً آخر لهذا الحديث .. فمعنى أن تلد الأمة ربتهـا هى أن تصبح الابنة هى الأمرة الحاكمة فى البيت .. تفرض رأيها على أمها وأبيها ، ولا يجروان إلا أن يطيعاها .. والمفروض فى الابنة بالذات أن تكون طيعة لوالديها ، وأن تفعل ما يأمرانها .. ولكن الأمر انقلب . فبدلاً من أن تكون الأم هى سيدة البيت .. ورأيها هو الذى ينفذ ويطاق .. تصبح الابنة هى سيدة البيت .. وأمرها هو النافذ .. والأم والأب عاجزان عن أن يفعلوا شيئاً .

بل إن الأمر قد يصل إلى نوع من التحدى .. تفرض فيه الابنة إرادتها حتى فيما يغضب الله ، وتتحدى بذلك أمها وأباها .. ونحن نرى أن هذا قد أصبح سمة من سمات الحياة الآن .. فالابنة هى

علامات الساعة

ربة الأم .. والأم لا تملك إلا أن تطيع ولو مكرهة .. وهذا في رأى
معنى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم انه من علامات الساعة
(ان تلد الأمة ربتها) .. أى أن الابنة أصبحت لها ولاية والأم من
رعيها .

تطاول

الحفاة العراة

ومن علامات الساعة ، كما أنبأنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
أن يتطاول الحفاة العراة فى البنيان .. أى أنه يأتى زمن يكون المال فى
يد بعض الناس الذين تراهـم فتعتقد أن أحدهم فقير لا يملك شيئاً من
صورته وهندامه .. ولكنك تفاجأ بأنه يملك المال الكثير .. وعادة
مثل هؤلاء الناس عندما يأتىهم المال من كل مكان .. فإن عقلهم
لا ينصرف إلا لبناء العمارات وتملكها .. هم يقومون أنفسهم بما
يملكون من عقارات ، لأنهم عادة لا تكون لهم ثقافة ولا علم يصنع
لهم مكانة فى المجتمع .. فلا يستطيعون بعلمهم أو ثقافتهم أن
يحصلوا على احترام الناس .. ولا بنسبهم وعائلاتهم .. ولا يكون
أمامهم أن يحصلوا على منزلة فى المجتمع إلا بالبنيان أو العمارات التى
يملكونها ويفخرون بها .. وتكون هى سندهم الوحيد فى محاولة أن
يصلوا إلى طموحاتهم فى الدنيا .

علامات الساعة

على أن هناك معنى آخر لابد أن نلتفت إليه .. ذلك أن الله سبحانه وتعالى قد خلق البدو والحضر .. أو المدينة والريف .. لحكمة في الحياة .. والله يريد حضرا فيه كل المقومات الحضرية ، أو مقومات المدنية من بنیان عال ، وحركة حياة مزدهمة ، إلى آخر صفات الحضارة أو المدنية التي نعرفها .. وفي نفس الوقت يريد بادية أوريفا له كل مقومات البادية أو الريف .. والحضارة البدوية أو الريفية لها دور هام في الراحة النفسية .. فنجد أن أى إنسان يعيش في المدينة لا يستريح إلا إذا ذهب بعض الوقت إلى مكان خلوى أو مزارع ليقضى بها جزءا من وقته بعيدا عن حضارة المدينة وزحامها وضجيجها .. فالنفس البشرية لا ترتاح إلا في المكان الذي فيه فطرة الحياة بدون حضارة البشر .

والله سبحانه وتعالى يريد حياة متكاملة متساوية .. ذلك أن ملكات الانسان متساوية ، لا تطفى فيها ملكة على ملكة .. وهو لا يستطيع أن يستغنى في حياته عن تلك الأماكن التي فيها فطرة الله وحدها .

يأتى زمن يتحول فيه الاجراء في البادية أو الريف إلى ملاك للمال .. ويصبح المال في أيديهم كثيرا .. وكانوا من قبل معدمين .. حينئذ لا تكون طموحاتهم في أن يزدوا الريف أو البادية جمالا فطريا .. بل إنهم يفسدونه بكثرة البنیان حتى أصبح الريف كالحضر من كثرة البنیان فيه .. ويتم هذا عشوائيا وبدون تخطيط

علامات الساعة

يساعد على إبقاء جمال الريف أو البادية ، الذى وهبه الله لها . . بل يتم كل ذلك بصورة دميمة . . تجعل هذه الأماكن بعد أن كانت لراحة النفس البشرية مصدر تعب لها . . ولا يجد الانسان مكانا يذهب إليه ليسترىح فيه .

حينئذ نجد أن الذين كانوا من فقراء أهل الريف أو البادية ويعملون فيها ، يتركون عملهم . . لأنهم تعالوا فى البنيان . . وتصبح الأرض لا تجد من يزرعها . . ويزيد هذا من قبح الريف أو البادية ، لأنها تصبح مهجورة . . وبذلك تختل ملكات الانسان ، لأنه لا يجد مكانا يسترىح فيه ، وهذه العملية تتم بالتدريج وعلى مر الزمن .

ومن علامات القيامة أيضا التى أنبأنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم (النساء الكاسيات العاريات) . . وهذا ما نراه حولنا الآن . . فعدد من النساء يظهرن من أجسادهن أكثر مما يسترن منها . . والله سبحانه وتعالى أمرهن بأن يسترن أجسادهن وحدد ما يكشف بالوجه والكفين . . وهذا يرجع إلى أن الناس يتعدون عن دينهم . . ولم يعد الدين حاكما لحركة الحياة ، ولا تصرفات البشر ، كما كان يجب أن يكون .

إعطاء الشيء لغير أهله

ومن علامات الساعة (أن يعطى الشيء لغير أهله) .. وهذا الحديث له معنيان :

المعنى الأول : أن العقل البشرى يستنفد تجربته ، ويستنفد فكره ، ويستنفد طموحاته كلها في اكتشاف أسرار الله في كونه .. حتى يظن الانسان انه بالعلم الذى وصل إليه ، وبالإمكانات ، أو التكنولوجيا التى يقولون عنها قادر على أن يتصرف فى الحياة وفق ما يريد .. وأن يخضع أحداثها لإرادته .

ومادام الانسان قد ظن أنه قادر على الحياة فى الأرض .. وعلى أن يفعل ما يشاء بذاته .. فإنه ينسى أن الله سبحانه وتعالى هو الذى وضع له هذه الامكانيات فى الأرض ، واستخلفه فيها .. وجعلها خاضعة لإرادته ، ينسى الانسان قدرة الله .. ولا يعقد إلا فى قدراته .. وإذا نسى الانسان قدرة الله فقد ترك منهجه .. وبدأ يتصرف فى الكون وفقا لإرادته ، أو ما تشتهيئه نفسه ، فتختل الموازين .. ويستعبد القوى الضعيف ، ويصبح المال الحرام حلالا .. ومادام الحق قد ضاع من الأرض ، والانسان اعتقد أنه قد سيطر عليها ، بحيث يستطيع أن يفعل ما يريد .. فإن الله سبحانه وتعالى ، وهو يرى البشرية قد وصلت إلى هذه الحالة ، يأتى

علامات الساعة

يوم القيامة ليعيد الميزان الحق يحكم بين البشر .
وفي هذا يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز :

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ
الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ
زُخْرُفَهَا وَازَيَّنَّتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا
أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ ۚ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ
الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾

(سورة يونس - الآية ٢٤)

إذن إذا أخذنا هذا الحديث بالمعنى الواسع . . فإنه من علامات
القيامة أن يعطى الشيء لغير أهله . . أى أننا بدلا من أن نعطي في
الدنيا الأمر لله سبحانه وتعالى . . لأنه هو الأمر والخالق والناهى . .
تأتى لغير أهل هذا الأمر . . والذين لا يستطيعون فننسبه إليهم دون
ما حقيقة . . وهكذا ينسب الانسان بغروره التقدم العلمى الذى
يحققه لنفسه ، وهو غير أهل لهذا . . فهو لا يستطيع حقيقة . . أن
يخضع قانونا واحدا من قوانين هذا الكون لارادته . . ولكن هذه
القوانين كلها تخضع لارادة الله وحده . . ومع ذلك فهو يظن . .
ولنلتفت إلى قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَظَنَّ أَهْلُهَا ﴾ . . أى
اعتقدوا باطلا على غير الحقيقة انهم قادرون عليها . . والظن نوع من

علامات الساعة

التخمين الذى لا يستند إلى أى حقيقة علمية ولا يعتد به ..
ولكن أهل الأرض قد أخذوا هذا الظن وحولوه إلى يقين ..
وقالوا : لقد استطعنا بالعلم والتكنولوجيا أن نخضع الأرض ونجعلها
خاضعة لمشيئتنا .. حينئذ يأتى أمر الله ليدمر كل الشئ .. فيعرف
الناس يقينا أن الأرض لا تخضع لمشيئتهم .. لأنها لو كانت تخضع
لهذه المشيئة ، لاستطاعوا حمايتها من التدمير بالقوانين التى ظنوا أنهم
اكتشفوها .

نأتى بعد ذلك إلى الشق الثانى من نبوءة رسول الله صلى الله عليه
وسلم .. ومعناه أنه سيكون هناك حكام وولاة يحاولون بالابقاء على
حكمهم وولايتهم ألا يختاروا الناس حسب كفاءتهم أو علمهم
أو خبرتهم .. ولكنهم يختارونهم من الذين يطيعونهم فى الحق
والباطل ، وتلك قضية يعبر عنها فى العصر الحديث بأهل الثقة وأهل
الخبرة .

يأتى هؤلاء الحكام أو الولاة ، وهم يعرفون من يصلح لهذا
العمل ، فيبعدونه عنه ، ويضعون انسانا لا يفقه شيئا فى هذا
المجال ، لأنه يطيعهم حتى ولو كانوا على باطل .

وبهذا تنتفى الخبرة السليمة فى إدارة العمل .. ويصبح الذين
يعلمون لا يفعلون شيئا .. والذين لا يعلمون هم الذين يديرون
حركة الحياة فى الكون كله .. ومادامت المسألة أهل ثقة وأهل
خبرة .. تكون كل الأمور قد خضعت للهوى .. لأن أهل الثقة هم

علامات الساعة

الذين ينفذون هوى النفس بالنسبة للوالى أو الحاكم بدون أى اعتبار آخر .. وهنا تكون حركة إشراف الناس على الحياة قد اختلت .. ومادامت حركة إشراف الناس على حركة الحياة مختلة .. تصبح حركة الحياة كلها مختلة ..

ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينبهنا إلى ذلك فى الحديث الشريف حين يقول : (من ولى أمر المسلمين شيئاً ، فولى رجلاً ، وهو يجد من هو أصلح منه ، فقد خان الله ، وخان رسوله ، وخان جماعة المسلمين) .. وذلك لأن مثل هذا العمل سيفسد نظام الكون كله .

على أن هناك نبوءات أخرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن علامات الساعة تبين لنا بوضوح أكثر .. كيف ستختل حركة الحياة عندما تقترب الساعة .. وهذا هو موضوع الفصل القادم .

الفصل السادس

انقلاب في الموانير

انقلاب فى الموازين

إذا أردنا أن نكمل الحديث عن علامات يوم القيامة التى أنبأنا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم . . فإننا نحتاج إلى مجلدات ومجلدات ، ذلك أن العلامات التى أنبأنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم علامات كثيرة . . منها علامات تحققت . . وعلامات كبرى لم تتحقق بعد كظهور المسيح الدجال ، والمهدى المنتظر ، وغير ذلك مما لم يتحقق بعد . . ولكننا لن نتعرض إلى ما لم يتحقق . . مكتفين ببعض ما تحقق فعلاً . . وإذا كان بعض الناس يشكون ، أولاً يصدقون فى أن العلامات الكبرى للقيامة ستتحقق ، فإننا نقول لهم : إن صدق ما تحقق الآن دليل على صدق ما هو قادم . . ونحن نصدقه لأنه روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الصادق الأمين .

على أننا قبل أن نتحدث عن بعض علامات الساعة التى أنبأنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإننا نقول إن هذه العلامات كلها هى تفسير للآيات الكريمة :

﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ

الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾

(سورة الروم - الآية ٤١)

وقوله تعالى :

﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾

(سورة الفرقان - الآية ٣٠)

انقلاب فى الموازين

أى أن ظهور الفساد فى الدنيا هو بما كسبت أيدي الناس . . أى أن منهج الله لا يتضمن الافساد فى الأرض . . بل إن منهج الحياة يضع أسس الاصلاح فى الأرض ، والصلاح فى الكون . . ولكن الناس بعدوا عن منهج الله ، فظهر الفساد . . ومع ظهور الفساد سيعانى الناس ، لتصبح حياتهم أكثر تعقيدا ، وأكثر عناء ، وأكثر معاناة . . وذلك جزاء من الله ليذيقهم بعض ما عملوا .

ونلاحظ هنا أن رحمة الله قد سبقت عدله . . فلم يقل سبحانه وتعالى يذيقهم ما عملوا . . ولكنه قال :

﴿ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا ﴾

(سورة الروم - الآية ٤١)

أى أن الله سيذيق الناس فى الدنيا نتائج جزء يسير جدا من أعمالهم ، ويؤجل الجزاء الأوفى للآخرة ، مصداقا لقوله تعالى :

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهَرِهَا مِنْ دَابَّةٍ ﴾

(سورة فاطر - الآية ٤٥)

أى ما ترك على ظهر الأرض أى حى يدب بقدميه عليها . وقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾

(سورة الفرقان - الآية ٣٠)

انقلاب فى الموازين

معناه انهم هجروا منهج الله .. لأن القرآن هو منهج السماء إلى الأرض وهجروا هذا القرآن .. أى تركوا العمل بأحكامه .. وكما بينا هو أن يوم القيامة يأتى عندما يهجر الناس المنهج ، ويظنون انهم بقدراتهم يحكمون الأرض ، ويسيطرون عليها .

على أننا قبل أن نغضى لابد أن نقول إن علامات الساعة متى تحققت لا تختفى .. وأنها تزيد ولا تنقص .. ذلك فإن ما تحقق منها حتى الآن سيزداد مع مرور الزمن .

أما اتوا الصلاة .. وأضاعوا الأمانة

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا رأيتم الناس أما اتوا الصلاة ، وأضاعوا الأمانة وأكلوا الربا ، واستحلوا الكذب ، واستعلوا بالبناء ، وباعوا الدين بالدنيا » .
هذه بعض علامات الساعة التى رواها رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

ما معنى أما اتوا الصلاة .. الميت هو الغائب عن الدنيا .. ذلك أن أساس الدين كله هو منهج للحياة الدنيا .. وفى ذلك يقول الله سبحانه وتعالى عن القرآن الكريم :

انقلاب فى الموازين

﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾
لِيُنذِرَ مَنِ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾

(سورة يس - الآيتان ٦٩ و ٧٠)

إذن فالقرآن الكريم نزل للأحياء .. وهو منهج السماء للحياة الدنيا .. ونحن حين نموت نرى كل شيء رؤية يقين .. ولا تعود هناك فائدة من إنذار بالغيب ، أو ما سيقع لنا .. لأنه أصبح واقعا فعلا ورأيناه .

وإذا كان القرآن كمنهج السماء إلى الأرض .. فإننا يجب أن نعمل به ونطبق تعاليمه فى حياتنا الدنيا .. وأهم تعاليم المنهج وأساس العبادة هى الصلاة .. لأنها الصلة بين العبد وربّه .. وكل أحكام الدين ترفع ما عدا الصلاة .. فالحج لمن استطاع إليه سبيلا .. فمن لم يستطع ، لأنه كان فقيرا ، لا يملك ما يحج به لا يكلف بالحج .. والزكاة لمن عنده فائض من المال .. فإذا كان رزق الانسان يكاد يكفيه بالكاد ، فلا يكلف بالزكاة .. وإذا كان فقيرا لا يجد قوته ، فهو مستحق للزكاة ، وليس مكلفا بها .. والصوم لمن كان فى تمام صحته ، ولم يكن مسافرا .. فمن كان مريضا أو على سفر ، فيستطيع أن يفطر فى رمضان .. ويقضى الأيام التى أفطرها فى غير رمضان .. إلا الصلاة فهى لا تسقط بالمرض ، ولا تسقط بالسفر .. ولا تسقط بالفقر .. والانسان لابد أن يصلى واقفا .. فإن كان مريضا يصلى قاعدا .. وأن كان لا يستطيع أن يغادر الفراش بسبب

انقلاب فى الموازين

المرض ، يستطيع أن يصلى راقدا .. والصلاة تظل قائمة عند المؤمن من سن التكليف حتى الوفاة ..

والصلاة إذن هى أساس حياة المؤمن لا يتركها أبدا . فإذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أمتوا الصلاة) .. أى غابت عن حياتهم الدنيا ، فلم تصبح موجودة .. والميت لا يسمع ولا يعى حركة الدنيا .. وكأنه من علامات الآخرة ، أن يؤذن للصلاة ، فلا يقول أحد إلى المساجد ، ليؤدى الصلاة ..
أى أنه عندما يؤذن المؤذن للصلاة ، كأنه ينادى على ميت ، فلا يجيبه أحد .

وقوله صلى الله عليه وسلم (وأضاعوا الصلاة) يؤخذ بمعناه الواسع ، ومعناه المحدود .. فالأمانة هى منهج الله التى حملها للانسان فى الأرض وحمله الاختيار فى أن يفعل أولا يفعل .. وكان إضاعة الأمانة معناها أضاعوا منهج الله فى الأرض .. هذا هو المعنى الواسع .

أما المعنى المحدود فهو أن الأمانة بين الناس ضاعت .. أو كما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « عندما تصبح الأمانة مغنما » .. أى أنه يأتى الانسان إلى أخيه الانسان يحمله أمانة بأن يحافظ على ماله ، أو على عرضه ، أو على أولاده ، فيعتبر هذا الشخص هذه الأمانة غنيمة له ولا يردّها ، يأخذها وهو يعد يردّها ، ولكنه بمجرد أخذها يعتبرها غنيمة لا ترد .. فإذا كانت الأمانة

انقلاب فى الموازين

مالا ينكره ولا يرده .. وإذا كانت الأمانة على العرض أو الزوجة يحاول هو أن يغرى هذه الزوجة بالفاحشة ، ويدفعها إلى خيانة زوجها ويعتبرها غنيمة له ، ليستحل ما حرمه الله .. وإذا كانت هذه الأمانة فى الأولاد .. أخذ هؤلاء الأولاد ، وكلفهم بخدمته فى منزله .. وربما منع عنهم الطعام والشراب .. وربما ضربهم إذا لم يخدموا ويفعلوا ما يريد .. وهكذا نرى أن إضاعة الأمانة بمعناها الواسع ، ومعناها المحدود ، تزداد فى المجتمعات .

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (وأكلوا الربا) ونحن نرى أن العالم كله يأكل الربا .. وأن كل إنسان يستحل ويحب أن ينمو ماله بلا حركة فى الحياة ولا عمل ، وهذا ما حرمه الاسلام .. والربا هو أساس الكوارث الاقتصادية .. واضطراب اقتصاد العالم بالآن .. حتى إن دولا أعلنت إفلاسها بسبب عجزها عن سداد فوائد الديون ، أو بسبب تعاملها بالربا ، وهو ما حرمه الله .. ولن ينصلح اقتصاد العالم إلا إذا عاد إلى منهج الله .. وانتهى نظام الربا كنظام عالمى ، ليحل محله نظام المشاركة الاسلامية ، والنظم الاسلامية التى وضعها الاسلام ..

واستحلوا الكذب

أما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « واستحلوا الكذب »
فمعنى ذلك أن الكذب أصبح حلالا يتعامل به كل الناس ، بدلا من
الصدق .. ومن كثرة الكذب يصبح هو السمة الغالبة فى المجتمع ..
ويصبح الانسان يسمع الكلام فلا يصدقه ، ولو كان صدقا .. لأن
الثقة قد انتهت ..

والكذب هو انفصال الكلام عن الفعل .. وما دام الكلام منفصل
عن الفعل فى حياة الانسان ، ويراه فى كل شىء حوله ، فإنك ذلك
بهدم ، الثقة فى المجتمع .. ويعطى الناس الشعور بأن كل ما يقال
هو زيف ، وليس حقيقة .

وفى هذه الحالة يفصل واقع الحياة عن أولئك الذين يعيشون
فيها .. فيصبح واقع الحياة شيئا .. وما يتكلم به الناس شيئا آخر .
والانسان لا يكذب إلا إذا كان يريد أن يخفى خطيئة أو عملا
شائنا .. ذلك أن العمل الذى أحله الله يتباهى به الناس جميعا ..
فإذا كنت مثلا مع زوجتك فى البيت وسألك أحد أين كنت ؟ ..
قلت بلا تردد ، وبدون أن تحاول أن تكذب : كنت مع زوجتى فى
البيت .. أما إذا كنت فى البيت مع زوجة رجل آخر .. وسألك أحد
أصدقائك : أين كنت ؟ .. فإنك فى هذه الحالة تلجأ إلى الكذب ،
لتخفى مخالفة لمنهج الله لا تنسجم مع حياة النفس البشرية وملكاتهما .

انقلاب فى الموازين

وأنت حين تملك مالا حلالا ، فانك تجلس فى أى مكان وتحصيه إن أردت إحصاءه .. ولكن إذا كان هذا المال حراما .. فانك تبحث عن مكان مهجور ، أو طريق مظلم ، أو بيت لا يراك فيه أحد ، لتحصى هذا المال .. فإذا سألك أحد : ماذا كنت تفعل ؟ .. كذبت ولم تستطع أن تقول له : كنت أعد مالا مسروقا .

إذن فإنه عندما يستحل الكذب ، فمعنى ذلك أن المعصية قد تفشت فى المجتمع .. وأن أفعال الناس لا تتفق مع منهج الله .. وما دامت الأعمال لا تتفق مع منهج الله .. فإن الناس يستحلون الكذب ليخفوا معاصيهم .. وهذا دليل على انحراف خطير فى المجتمع .

واستخفوا بالدماء

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « واستخفوا بالدماء » .. أى انتشر القتل بدون قصاص . وهذا ما نراه الآن فى العالم كله فى الحروب الأهلية وحوادث النسف والتدمير التى لا تكاد تخلو نشرة أخبار واحدة منها .. هؤلاء الناس الذين دبروا حواث النسف هذه ، واستخدموا السيارات الملقومة ، وأطلقوا الرصاص عشوائيا ، واستخفوا بدماء الناس .. لأن هؤلاء الضحايا هم ضحايا أبرياء .. لم يفعلوا شيئا حتى استحقوا القتل .. وهم ليسوا طرفا فى النزاعات

انقلاب فى الموازين

التي تحدث .. ولذلك لا تستحل دماؤهم .. ولكن أولئك الذين يقومون بهذه العمليات التي تتم فى معظم دول العالم ، ويدبرون حوادث النسف والاغتيال ، إنما يستخفون بدماء البشر .

وباعوا الدين .. بالدنيا

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « واستعلوا بالبياء وباعوا الدين بالدنيا » .. معناه أن الناس قد استحلوا جمع المال عن أى طريق وبأى طريق .. وليس لديهم أى وازع من الدين .. بل انهم فى عملهم وكل تحركاتهم .. ليس فى بالهم الله .. ولكن فى بالهم أن يعلو بنيانهم ، وتزداد ثرواتهم .. ومادام هناك بيع فمعناه أن هناك سلعة وثمان .. وكون الذى بيع هو الدين .. فمعناه أنهم أخذوا مغنم الدنيا ، بدلا من منهج الله .. وأصبح الصراع بين الناس صراعا بين دنيا ودنيا ، وليس صراعا بين دنيا وآخرة .. ولم يعد أحد يحرص على الدين حرصه على المال أو متاع الدنيا . مع أن كل ما فى الدنيا زائل مهما طال العمر .

الزكاة .. مغرما

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا كانت الأمانة مغنما ، والزكاة مغرما ، والتعلم لغير الدين ، وأطاع الرجل امرأته ،

انقلاب فى الموازين

وعق أمه وود صديقه ، وأقصى أباه ، وظهرت الأصوات فى المساجد ، وأكرم الرجل مخافة شره ، وظهرت القينات وكثرت المعازف ، وشرب الخمر ، ولعن آخر هذه الأمة أولها .

ومعنى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم انه من علامات القيامة أن تكون الأمانة غنيمة لمن أؤتمن عليها لا يردها وقد سبق أن بينا ذلك . . أما أن تكون الزكاة مغرما . فهي أن يعتبر الناس دفع الزكاة غرامة يحاولون أن يتهربوا منها . . بينما الزكاة هى ركن من أركان الاسلام . . ووسيلة للتقرب إلى الله سبحانه وتعالى . . ولكن الناس لأنهم ابتعدوا عن منهج الله يعتبرون الزكاة غرامة . . لا يؤدونها إلا وهم كارهون . . هذا إذا أدوها . . ويحاولون التهرب من أدائها بمبررات كاذبة .

والتعلم لغير الدين

والتعلم لغير دين نراه الآن فى مجتمعاتنا . . فالأب حريص على أن يعلم ابنه اللغات . . وحريص على أن يعلمه العلوم الدنيوية . . والناس يتقاتلون ليلحقوا أولادهم بما يسمى الآن بمدارس اللغات . . والأب يضرب ابنه ويراقبه مراقبة دقيقة إذا لم يذاكر . . مع انه لا يأمره بالصلاة مثلا ، ولا يحاسبه عليها ، ولا يحثه عليها . . ولا يحاول أن يجعله يدرس علوم الدين مع علوم الدنيا . . أو يعرف

انقلاب فى الموازين

شيئا عن دينه .. بل كل همه هو العلوم الدنيوية .. مع أن الأب فى هذا قصير النظر .. ذلك أنه يعمل لشيء قد لا يقع ، ويترك شيئا لا محالة واقع .. فقد يموت الابن قبل أن يتخرج فى الجامعة ، فلا يحقق هدفا .. وقد يصاب بمرض يقعده عن العمل فيضيع كل ما تعلمه .. ولكن هذا الابن لا محالة سيقابل الله .. أى أن تعلمه للدين ، واتباع المنهج ، أمر له جزاء مضمون .. فلا أحد سيفلت من الآخرة .. أما علوم الدنيا فلا ضمان فى الدنيا .. ومع ذلك فأننا نجد الناس يتكالبون ليعلموا أولادهم لغير دين .. ولا يهتم إلا القليل منهم بتعليم أولاده الدين ، ومحافظتهم على الصلاة ، وحثهم على صالح الأعمال .

وأطاع الرجل امرأته وعق أمه

أما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (أو أطاع الرجل امرأته . وعق أمه ، وود صديقه ، وأقصى أباه) .. فمعناه أن الرجل حينما يتزوج يطيع امرأته فى كل شيء ، وهو يغرقها بالمال وما تحتاج إليه .. فإذا كانت أمه فقيرة ، عقمها ولم يعطها شيئا .. وإذا كانت مريضة ، وطلبت منه امرأته أن تذهب لزيارة إحدى صديقاتها ، ترك أمه المريضة ولم يزرها ، وصحب زوجته فى هذه الزيارة .. وإذا كانت

انقلاب فى الموازين

الأم تعيش وحيدة فى شقة أغرتة امرأته باخراج أمه من الشقة ،
لتحصل هى على الشقة .. وبيوت المسنين فيها أمثلة كثيرة من
الأمهات اللاتي طردهن أولاهن من منازلهن .. وأحيانا يؤذى الرجل
أمه إرضاء لزوجته .. مع أن الرجل أمامه آلاف النساء ليختار منهن
زوجة .. ولكن ليس له إلا أم واحدة .. وعقوق الأم جريمة كبرى فى
الاسلام .. فالله قد حث على رعاية الأم والأب فى شيخوختها ..
وقال تعالى :

﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذِّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا
رَبَّيَّنِي صَغِيرًا ﴾

(سورة الاسراء - الآية ٢٤)

ورسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الجنة تحت أقدام
الأمهات » .. وعندما سأله صحابى .. من أحق الناس بصحبتي
يارسول الله ؟ .. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمك ..
وكررها ثلاث مرات .

وما يقال عن الأم ، يقال عن الأب .. فالابن قد يترك أباه
المريض الذى لا يجد أحدا يعطيه كوب ماء ، ويذهب ليقضى السهرة
مع أصدقائه .. وقد يأخذ مال أبيه الذى هو فى أمس الحاجة اليه
لينفقه على أصدقائه .. وقد يزور صديقه المريض .. ولا يزور أباه
المريض .

وظهرت الأصوات فى المساجد

أما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (وظهرت الأصوات فى المساجد) . . أن الناس يذهبون إلى المسجد ليس للعبادة ، ولكن للتحديث فى شئون الدنيا . . والمسجد هو بيت الله . . وإذا ذهبت إلى المسجد ، فأنت تذهب لذكر الله والعبادة وإياك وأنت فى المسجد أن تتحدث فى شأن من شئون الدنيا . . ولكننا نرى الناس يذهبون إلى المساجد لاتمام صفقة ، أو للاتفاق على تجارة ، أو أى شىء من هذا القبيل . . ويقول أحدهم للآخر : سأقابلك فى المسجد لنتفق على هذا وذاك وبذلك تخرج المساجد عن أنها دور للعبادة ، وتصبح مكانا دنيويا للتحديث فى شئون الدنيا . . ومن يتفق على تجارة أو أى شأن من شئون الدنيا فى المسجد . . فلا يبارك الله له فيما اتفق عليه . . وذلك أن المسجد لا يقصد إلا للعبادة . . ولا يتحدث فيه إلا بذكر الله والتسبيح له .

تكريم الرجل مخافة شره

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وأكرم الرجل مخافة شره » . . أى أن الناس من خوف الدنيا تكرم الرجل الشرير اتقاء

انقلاب فى الموازين

شره ، ولا تكرم الرجل الكريم .. فالانسان عادة يكرم لدينه ، ويكرم لخلقه ، ويكرم لعلمه .. ولكنه لا يكرم أبدا لشره .. بل إن الانسان الشرير لابد أن يقف المجتمع كله أمامه حتى يقوموه .. ولكن لأن الخوف يملأ قلوب الناس ، فإنهم لا يجرؤون على مواجهة الانسان الشرير .. بل يكرمونه ليتعد عنهم .. وفى هذا تشجيع للشر والرذيلة فى المجتمع .. بحيث يصبح الشر هو القوى .. وهو السائد .. وهو الذى يحكم المجتمع ..

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وكثرت القينات والمعازف وشرب الخمر » .. والقينات معناها أماكن اللهو التى تعزف فيها الموسيقى ، وتلهى الناس عن دينهم وعن ذكر الله .. ولعلنا نشهد الآن هذه الظاهرة بعد أن كثرت أماكن اللهو والغناء والخمر .. وأصبحت فى كل حى ، وهى تزداد ولا تنقص .. بمعنى أنه يفتح الجديد منها ، والقديم قائم .

ظهور هذه الأماكن معناه أن الناس قد نقضوا نظام الله فى الكون .. ذلك لأن الله تعالى قد جعل الليل لباسا والنهار معاشا .. أى أن الانسان المؤمن حين يأتى الليل يأوى إلى بيته بعد صلاة العشاء لينام .. ولكن وجود هذه الأماكن يجعل الناس يسهرون الليل ، بدلا من أن يناموه .. ويضيع منهم اعتدال حركة حياتهم .. ويقوم الانسان من نومه بعد شروق الشمس بساعات .. ويكون قد أضاع صلاة الفجر التى هى خير من الدنيا وما فيها .. فرسول الله صلى الله

انقلاب فى الموازين

عليه وسلم يقول : « ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها » .. وينزل الانسان لعمله متعبا ، لأنه لم يمثل لأمر الله سبحانه وتعالى أن ينام الليل .. بل ظل ساهرا حتى ساعة متأخرة .. وتكون النتيجة أنه أضاع صلاة الفجر ، وأضاع إنتاج اليوم .

وبعض الناس يشكون من أنهم لا يستطيعون الاستيقاظ عند الفجر للصلاة .. نقول لهؤلاء جميعا : لو أنكم اتبعتم منهج الله وأويتم إلى فراشكم بعد صلاة العشاء ، فإنكم تستيقظون فى الفجر ، بل قبل الفجر ربما بساعة أو أكثر .. فالليل للسكون ، وليس للحركة .. وذلك مصداقا لقوله سبحانه وتعالى :

﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۖ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴾

(سورة النبا - الآيتان ١٠ - ١١)

ولكن المعازف والسهر فى الليل .. يتنافى مع كون الليل سكنا لينام الانسان ويجدد نشاطه .

إذن فظهور القينات والمعازف وشرب الخمر .. هو إفساد لمنهج الله ، وإضاعة لصلاة التهجد ، وصلاة الفجر ، وقرآن الفجر .. وكل هذا يشير إلى أن الناس يتعدون عن تطبيق المنهج .

انقلاب فى الموازين

يلعن آخر الأمة أولها

ثم يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (ويلعن آخر هذه الأمة أولها) . . أى أن الذين يعيشون خلال هذه الفترة يهاجمون الصحابة ويصفون هذا الدين بالتخلف . . ويتحدثون عن السلفية أحاديث مقصود بها تشويه السلف الصالح . . أولئك الذين حملوا هذا الدين ونقلوه إلى الدنيا كلها . . والله سبحانه وتعالى يقول فى كتابه العزيز فى وصف المؤمن . .

﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾

(سورة الحشر - الآية ١٠)

وهكذا طلب منا الله سبحانه وتعالى أن نطلب المغفرة لأولئك الذين سبقونا بالايان . . على أساس الوحدة الایمانية للمؤمنين أولا . . وعلى أساس أنهم تركوا لنا من العلم ما ننتفع به فى ديننا . . فكل ما كتب حول القرآن الكريم قام به أولئك الذين سبقونا بالايان . . وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . . وتفسير هذه الأحاديث وصلتنا عن الذين سبقونا بالايان . . وكتبهم ودراساتهم لا تزال موجودة بيننا حتى اليوم . . تعطينا نور الايمان . . وتبين لنا كيف أن السلف الصالح قد أفنوا أعمارهم فى دراسة دين الله ،

انقلاب فى الموازين

والتفقه فيه ليقدموا لنا ذخيرة لا تنفذ .. وكان المنتظر منا ، بعد أن قدموا لنا هذه الخدمة الجليلة فى ديننا ، أن نطلب لهم الرحمة والمغفرة . وأن يتقبل الله منهم صالح أعمالهم .. بهذا وصف الله المؤمنين فى القرآن الكريم ..

ولكننا الآن نجد تجنبنا واضحا. وعلينا على السلف الصالح .. وهجومًا وتشويهًا لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وإلصاق التهم الباطلة بهم .. وصب اللعنات عليهم .. واتهامهم بأنهم سبب تخلف هذه الأمة .. وهذا يتم جهارا نهارا فى الصحف والمجلات والكتب .. ويتخذ بعض الناس من الهجوم على السلف الصالح وتشويههم صناعة يتكسبون منها فى الحياة الدنيا .

الورع تصنع

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم انه من علامات القيامة أن يكون الزهد رواية ، والورع تصنعا ، وأن يكون الولد غيظ أبيه وأمه ، وأن يصدق الكاذب ، ويكذب الصادق ، ويؤمن الخائن ويخون الأمين ، ويسود كل قبيلة منافقوها ، وكل سوق فجارها ، وأن يعمر خراب الدنيا ، ويخرب عمرانها .

قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « أن يكون الزهد رواية والورع تصنعا » هو أن يخفى أولئك الزهاد والوراع الحقيقيون ..

انقلاب فى الموازين

وأن يظهر الانسان غير ما يظن ، فيصبح الزهد ليس حقيقة ، ولكنه مجرد روايات كاذبة يتناقلها الناس عن بعض الناس .. فى محاولة لخداع عامة المسلمين ، وايهامهم بأن هذا الرجل زاهد فى الدنيا .. ليحصل بهذه الطريقة على مزيد من المال .. ويقال : أن هذا الانسان زاهد .. فى حين أنه يملك مالا كثيرا .. يكثره ولا يتصدق به .. أو تصبح تجارة الناس هى الدنيا .. ومن تكالبهم عليها لا يكون الزهد حقيقة .. ولكنه يكون ماضيا قد اندثر يحكيه الرواة عن آبائهم ، أو عن أجدادهم .. ويقولون فى عام كذا كان هناك رجل زاهد يعيش فى مكان كذا .. ويفعل كذا وكذا .. وتصبح حكايات الزهد كلها هى روايات عن الماضى ، ليس لها واقع ، وليس لها حاضر .. فيبحث الناس عن الزهاد فلا يجدونهم ..

(والورع تصنعا) .. أى أن الناس تتظاهر بالورع .. ولكنه فى الحقيقة ليس موجدوا فى قلوبهم .. وينتشر الرياء فى الدين .. فيذهب الانسان إلى المسجد لا يقصد الصلاة ، ولكن ليقول الناس عنه : انه مصل .. ويذهب الانسان إلى الحج لا يقصد الحج ، ولكن لقال عنه انه حاج .. ويتحدث الناس عن الدين ويتخذونه صناعة ، يعلمونه للناس ولا يعملون به .. وقيم الناس المساجد لا يقصدون منها وجه الله .. وانما يقصدون منها أن تخلد أسماؤهم فى الدنيا ، أو أن يحصلوا على إعفاءات من رسوم عقارات ، أو أرض مجانا ، أو أى ميزات دنيوية كالذى ينحصر مكانا صغيرا فى عمارة كزاوية للصلاة ، وهو فى الحقيقة يريد إعفاءه من الضرائب

انقلاب فى الموازين

العقارية . . أو كالذى يتحایل لبناء عمارة بأن يحصل على رخصة بناء مسجد حتى يتخطى أوامر منع البناء فى منطقة معينة ، ثم بعد ذلك يقيم العمارة التى يريد . . أو ذلك الذى يأتى إلى أرض ليسورها على أساس أنها مسجد ليأخذها مجانا ، أو بثمان زهيد ، ثم بعد ذلك يبنى عليها ما يريد .

كل هذه الأشياء لا تنفع ، ولا يجزى الله سبحانه وتعالى عنها أحدا من الذين قاموا بها . . فلا يعتقد أحد أنه يستطيع أن يخدع الله . . قد يستطيع الانسان أن يخدع الناس . . ولكن أحدا لن يستطيع أن يخدع الله . . والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ (١٨)

(سورة الجن - الآية ١٨)

فإذا لم يكن بناء المسجد يقصد به وجه الله سبحانه وتعالى خالصا . . يشيد أولا كمسجد ، وليس كوسيلة للحصول على إعفاء ضريبى أو رخصة بناء ، أو أى نوع آخر من الفوائد الدنيوية . . والا يكون تخليدا لذكرى إنسان . . إذا لم يكن المسجد كذلك فلا يتقبل بناؤه . . أما ما يمكن أن يقال عن المساجد التى سميت بأسماء أولياء الله الصالحين . . فإن هؤلاء الصالحين اسمهم خالد فى الدنيا بعلمهم الصالح . . وهم لم يبنوا هذه المساجد ، وإنما بناها من بعدهم . . كما أنها مبنية فى أحياء من المدن مسماة بنفس الأسماء . . والمهم هنا ألا تكون نية صاحب المسجد ، وهو يبنيه ، انه يفعل شيئا

انقلاب فى الموازين

ليخلد اسمه فى الدنيا ..

وهكذا نرى أن من علامات الساعة أن يصبح الزهد رواية ،
ويختفى الزهد من الدنيا ، ويلعن السلف الصالح . وأن يصبح
الورع تصنعاً .. أى يختفى الورع من القلوب ، ويصبح مجرد صناعة
يلجأ إليها بعض الناس من أجل أغراض دنيوية ..

يكون الولد غيظ أبيه

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (أن يكون الولد غيظ أبيه
وأمه) .. معناه أن موازين الحياة ستختل ، بحيث يصبح الولد
أو الابنة هما مثار التعب والغيظ للأم والأب .. والولد أساساً يكون
قرة عين أبيه وأمه .. وامرأة فرعون قالت عن موسى عليه السلام :

﴿ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ ﴾

(سورة القصص - الآية ٩)

أى أن الولد أساساً موجود فى الدنيا كقرة عين لأبيه وأمه ، يعينهما
على الحياة ويطيعهما ويرعاهما فى الكبر .. ولكن بدلاً من أن يحدث
ذلك يكون الولد غيظاً لأبيه وأمه .. يعمل ما يغيظهما .. فيتلف
المال ، وربما كان الأب والأم لا يملكان من المال ما يكفى .. ويوجد
لهما المشاكل بسوء عمله مع الناس ، أو اعتدائه عليهم .. ولا يعينهما
على قضاء حوائج الحياة ، فإذا طلبا منه أن يفعل لهما شيئاً رفض ..

انقلاب فى الموازين

وإذا طلباه بأن يؤدى عملا قال : لا .. وهكذا لا تأتى منه راحة لأبيه وأمه .. بل يأتى منه ما يغيظهما وينغص عليهما حياتهما .. ويصبح الأب يتمنى لو أنه لم يرزق بهذا الغلام الذى حول حياته إلى شقاء لا يعينه على الحياة .. ولكنه يزيد بها ظلمات وتعقيدا ..

كما أن بعض الأبناء لا يحمل احتراما لأبيه ، فإذا تكلم الأب عارضه الابن ، وربما هاجم رأيه إلى آخر ما نراه الآن .. وكل هذه العلامات إنما هى دليل على نقض منهج الله ، وعدم العمل به .

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « أن يصدق الكاذب ، ويكذب الصادق ، ويؤمن الخائن ، ويخون الأمين » .. معناه اختلاط القيم فى المجتمع ، بحيث يختلط الأمر على الناس .. فمن كثرة الكذب الذى يسمعون لا يعرفون من يصدقون ومن يكذبون .. كل كلمة تحتل الكذب .. وكل ما يقال بعيد عن الحقيقة .. ولذلك فإن الناس يصدقون الكاذب ، لأنهم لا يسمعون إلا كذبا .. فإذا جاء انسان مخلص يريد أن يقول لهم الحقيقة كذبوه .. كذبه أولا أصحاب المنافع الدنيوية .. الذين يريدون للكذب أن يسود حتى يصلوا إلى أهدافهم بالنفاق والخداع .. وكذبه الناس من كثرة ما يروى من الكذب على أنه صدق .

ويؤمن الخائن ويخون الأمين تحمل نفس معنى اختلاط القيم .. فلا يعرف الناس من هو الأمين من كثرة انتشار الخيانة فعندما يأتى رجل أمين لا يصدق الناس ويخونونه .. لأن الخيانة هى السمة فى

انقلاب فى الموازين

المجتمع كله . أما أن يؤتمن الخائن فهي أن يكون أناس خونة ..
يدعون الأمانة ، ليحصلوا على أموال الناس بالباطل .. وبعض
الناس يصدقونهم .

ويسود القبيلة منافقوها

وقوله صلى الله عليه وسلم (يسود كل قبيلة منافقوها) .. علامة
على أن النفاق سيكون هو الوسيلة للارتقاء فى المجتمع والتقدم إلى
أعلى المناصب .. وهذا أيضا دليل على اختلاط القيم فى المجتمع ..
فلا يعتمد تقدم الانسان فى الحياة على علمه ، أو عمله ، أو ثقافته ،
أو مهارته .. بل يعتمد على إتقانه للنفاق .. فكلما اتقن الانسان
النفاق كانت فرصته أكبر للوصول إلى أعلى المناصب .

وهكذا تصبح القمة من المنافقين ، وينزوى المخلصون بعيدا ..
وهذا معناه أن الأمور لا تصرف بالحق ، ولا بالصدق ..
ولا بالأمانة .. ولكن تصرف بهوى النفس . وتصبح الأغراض
الشخصية هي التى تحكم .

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « أن يسود كل سوق
فجارها » .. والفاجر هو الذى يجاهر بالمعصية .. أى أن يكون
أولئك العاصون هم الذين يعجب بهم الناس ، ويجاهرون

انقلاب فى الموازين

بالمعصية .. وأن يكون التاجر الذى يغش ويبخس فى الميزان ، ويحقق أرباحا فاحشة هو سيد السوق .. أى أكثر التجار غنى .. وأكثرهم احتكارا لأقوات الناس .

وأن يكون المؤمن فى القبيلة أذل من النقد .. والنقد هو صغار الغنم .. أى لا يؤبه به ، ولا يكون له أى وزن فى قبيلته ، لأنه محافظ على إيمانه .

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « أن يخرّب عمران الدنيا ، ويعمر خرابها » .. أى أن تحدث الفتن فى المدن التى يسكنها الناس ويقا تل الناس بعضهم بعضا .. حتى تخرّب الأماكن العامرة ، ويهرب منها الناس ، وتصبح خرابا .. وهذا حادث الآن فى كثير من دول العالم .. حيث تخرّب الحروب الصغيرة ، والحروب الأهلية المدن العامرة ، وتحولها من أماكن مليئة بالخير إلى أماكن خربة .

ولعلنا إذا أردنا أن نأخذ مثلا قريبا .. فأمامنا لبنان .. أما أن يعمر خراب الدنيا .. فمعناها أن تضيق الأرض بالناس .. حتى إنهم لا يجدون حلا لاستمرار حياتهم إلا أن يعبروا الأماكن الخربة .. فيحاولوا زراعة الصحراء والأماكن النائية عن العمران لتستطيع الحياة أن تستمر .

شهادة الزور

ومن علامات الساعة التى رواها رسول الله صلى الله عليه وسلم (ظهور شهادة الزور وكتمان شهادة الحق .. ونشر الظلم أى (كثرة النكته) . وقلة العلماء . وانتشار البيع بالربا والسحت بالهدية ، وأن تزخرف المحاريب : وتخرب القلوب) .. ومعنى ذلك أن الحق يختفى من الأرض فتظھر شهادة الزور ، وتكتم شهادة الحق ، ويجد الرجل أن هناك قول زور يقال أمامه ليؤمن عليه ، ولا يستطيع لسانه أن ينطق بشهادة حق .. ونشر الظلم أى كثرة النكته ، معناه استهتار الناس بالقيم ، وأخذهم الجد بالهزل .. فيهزلون طوال يومهم ، ولا يقوم واحد منهم بأى عمل جاد .. وقلة العلماء .. أى أن العلماء يصبح عددهم أقل من القليل .. فلا يوجد العلماء الذين ينشرون كلمة الحق ، وذلك معناه أن يذهب الصالحون الأول فالأول .. ولا يبقى إلا أولئك الذين لا يعرفون من العلم إلا القليل النادر .

واستحلال البيع بالربا ، معناه أن ينتشر الربا .. ويقول الناس عنه انه بيع .. أى يحصل الناس على الربا ، ويستحلونه باسم البيع ، والسحت بالهدية .. أى يستحل الناس الرشوة على أساس أنها هدية .. أى أن الناس يتحايلون على اظهار الربا انه بيع .. والحصول على الرشوة والمال الحرام ، ويسمونها هدية ..

تزخرف المحاريب وتخريب القلوب

وقوله صلى الله عليه وسلم (أن تزخرف المحاريب ، وتخرب القلوب) .. معناه أن حقيقة الايمان تختفى ، ولا يبقى إلا مظهره .. فالناس تكون قلوبها خربة ليس فيها ذرة من إيمان .. ومع ذلك فهي تتسابق لزخرفة المنابر والمساجد تظاهرا وليس عن إيمان .

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (وأن يقرأ القرآن فلا يتجاوز الحلقوم) .. معناه أن القرآن سيقراً باللسان فقط ، ولا يعمل به .. أى أن الانسان يقرأ القرآن بلسانه ، فلا يدخل إلى قلبه .. ويقوم من قراءة القرآن ليفعل ما حرمه الله .

هذه بعض أشراط الساعة ، أوعلامات القيامة التى أنبأنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وهناك علامات أخرى كثيرة قد تحققت .. ستعرض لها فى الأجزاء القادمة من هذا الكتاب إن شاء الله .

ومادمننا قد تحدثنا عن مقدمات الساعة .. فلا بد أن نكمل الحديث عن بداية أحداث الساعة .. وهذا هو موضوع الفصل القادم .

الفصل السابع -

وجاء يقمر القيامه

وجاء يوم القيامة

قبل أن نتحدث عن يوم القيامة ، وما سيحدث فيه .. لابد أن نتناول أولاً معنى الآية الكريمة :

﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾

(سورة القمر - الآية ١)

ذلك أن بعض الناس يجادل في هذه الآية ، ويقول إنها حدثت وانتهت والبعض الآخر يقول إنها ستحدث في آخر الزمان .
ومسألة انشقاق القمر هي معجزة حسية ، أو معجزة مشاهدة ..
والمعجزات الحسية تأتي مرة واحدة ولا تتكرر .. والمقصود بها هم الذين شهدوها .. أما نحن الذين لم نشهدها فإننا نصدقها ، لأنها جاءت في القرآن الكريم .. ومن هنا فإن موسى عندما ضرب بعصاه فانشق البحر .. نحن لسنا المقصودين بهذه المعجزة .. ولكن المقصود بها هم أولئك الذين شهدوها .. أى تثبت المؤمنين الذين كانوا مع موسى عليه السلام ، وجنود فرعون يتبعونه .

فالذين يقولون أن انشقاق القمر قد حدث .. هم الذين شهدوا هذه المعجزة .. ومعنى اقتربت الساعة أن رسول آخر الزمان قد بعث .. هذا هو معنى الاقتراب .. فإن كل رسول ، قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد جاء وبعده رسل .. أما الرسول الخاتم ، وهو محمد عليه الصلاة والسلام .. فهو الرسول الذي ستقوم على رسالته الساعة .. ولن تأتي بعده رسالة أخرى من السماء .. هذا هو معنى « اقتربت الساعة » .

وجاء يوم القيامة

أما معنى « وانشق القمر » .. وهل سينشق أم انشق فعلا .. إذا أخذناها بمعنى أنه قد انشق فعلا ، فهذه ظاهرة كونية ، وهى ليست مطلوبة ممن لم يرها ، بل هى مطلوبة ممن شهدها ، لأنها تحيى لمن يشهدا .. وهى تكون آية على صدق هذا الرسول ، ولا تأتى للبشر كافة .. وإنما لمن شهدوها .

فالذى جاء للناس كلها .. للبشر جميعهم ، لم يكن آيات كونية .. ولكنه كان معجزة خالدة مستمرة لا تنتهى أبدا .. فمثلا عندما نقول ان عيسى أبرأ الأكمه والأبرص .. فهذا لم يحدث إلا مرة واحدة ، ثم انتهى .

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بمثل هذه الآيات .. ولكننا نحن لسنا مطالبين بها .. إنما المطالب بها من شهدها .. فنبع الماء من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتظليل غمامة له ، وتسبيح الحصى فى يديه .. كل هذه آيات كونية لتثبيت المؤمنين الأولين الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ومن شهدها فهو مطالب بها .

وانشقاق القمر فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم رآه بعض الناس .. وبعض الناس لم يروه .. نقول : ان هذا شيء طبيعى .. لأننا ، ونحن الآن فى عصر تقدم ، يحدث كسوف للشمس ، أو خسوف للقمر .. كم من الناس يشاهد هذه العملية .. عدد قليل جدا .. مع أن الموعد يكون معلنا مسبقا ..

وجاء يوم القيامة

والناس قد قرأوا الخبر وسمعوه من أكثر من مصدر .. فإذا حصل خسوف للقمر ، وهذا يحدث ليلا ، فمعظم الناس يكونون نياما ، ولا يراه إلا قلة من العلماء الذين يعملون في الفلك ، وبعض من يبقى مستيقظا خصيصا ليتابع هذا الحدث .

إذن فلا معنى لأي ظاهرة كونية إلا لمن يراها .. ونحن نقول دائما أنه ليس مع العين علم .
بقى الذين لم يروا .. من أراد أن يصدق فقد آمن بأن هذا حدث . لأنه في هذه الحالة يكون ما تم غير مشهود بالنسبة له .. أى غيبا بالنسبة له .. والايمان لا يكون إلا بالغيب .. ولا يكون شيء حسي مادي مشاهد .

ففى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انشق القمر ، ورآه من رآه .. فمن أراد أن يصدق رواية الذين رأوه فقد آمن .. ولكن المسألة عندما تذكر فى القرآن الكريم ، أويجىء بها القرآن مؤكدا رواية الرواة تصحيح يقينا .

أولاً من يريد تفسير الآية الكريمة ، بمعنى أن اقتربت الساعة .. أى أن الساعة تقترب .. وينشق القمر آية لها .. فنحن لا نستطيع أن ننفي أن ذلك يمكن أن يحدث .. ومادام الله سبحانه وتعالى يقول : « اقتربت » فإننا لابد أن نعرف يقينا أنها اقتربت .. ذلك لأن الله حين يخبرنا بشيء مستقبلي فهو يقين إيماني .

وجاء يوم القيامة

أتى أمر الله فلا تستعجلوه

وهنا ننبه إلى قول الله سبحانه وتعالى :

﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾

(سورة النحل - الآية ١)

.. كيف يقول الله سبحانه وتعالى ﴿ أتى ﴾ .. ثم يقول
« لا تستعجلوه » .. مادام قد أتى .. أى قد حدث وتم .. فكيف
لا نستعجله ؟

نقول لمن يحاول أن يستخدم مثل هذا الاختلاف الظاهري بين
الألفاظ أن الله سبحانه وتعالى حين يتحدث عن أمر مستقبلي ، فإنه
يتحدث عنه بأنه قد وقع وتم فعلا .. ولا يستطيع أحد من خلق
الله ، ولا قوة غير الله ، أن تتحدث عن المستقبل في صيغة
الماضي .. لماذا ؟

إذا تحدث عن شيء سيقع في المستقبل ، فلا بد أن يتحدث عنه
كشيء مستقبلي .. فالإنسان لا يملك القدرة ولا القوة ليضمن
حدوث الشيء .. فهو لا يملك البقاء على قيد الحياة ، حتى يأتي
موعد وقوع الشيء .. وهو لا يضمن أن قوته ستمكنه من عمل هذا
الشيء ، حتى إذا بقى على قيد الحياة .. وهو لا يضمن الظروف التي
قد تكون سائدة في هذا الوقت ، حتى يقع هذا الشيء أو لا يقع ..

وجاء يوم القيامة

فقد يأتى شى ما خارج عن إرادة الانسان يمنع حدوث ما وعد
الانسان بأنه سيحققه .. ونحن لا نملك المستقبل .

ولكن الله سبحانه وتعالى حى لا يموت .. قاهر فوق عباده ..
لا أحد يستطيع أن يمنع حدوث أمر الله .. فإذا حدث الله سبحانه
وتعالى عن المستقبل بصيغة الماضى ، فإنه لا محالة حادث .

إذن فإن المستقبل بالنسبة للبشر يصح أن يكون أو لا يكون ..
ولكن الأخبار من الله القادر على قوله .. يكون قد وقع بمجرد اخبارنا
به .. وإن لم يكن نراه أو نشهده .

والذين يقولون انشق القمر فى عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم .. والذين يقولون سينشق القمر عندما تقترب الساعة ..
نقول : إن كلا القولين غير متعارض ، فالقمر قد انشق .. والقمر
سينشق مرة أخرى .

أحداث يوم القيامة

ونأتى إلى ما جاء فى القرآن عن أحداث يوم القيامة .. فيقول الله
سبحانه وتعالى :

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ

وجاء يوم القيامة

اللَّهُ ثُمَّ نُفِخُ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٦٨﴾

(سورة الزمر - الآية ٦٨)

وقوله تعالى :

يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾

(سورة القمر - الآية ٧)

هاتان الآيتان وآيات غيرهما تجربنا كيف سيخرج الناس من قبورهم .. فنحن نأتى إلى الدنيا تباعا .. أى فردا فردا .. ولكننا حين نبعث فى الآخرة .. فإننا نبعث مرة واحدة ، أى نقوم جميعا فى لحظة واحدة .. حينئذ يصبح هناك ازدحام شديد .. لأن أهل الأرض كلهم منذ بداية الخلق قد خرجوا من قبورهم دفعة واحدة .. والله يريد أن يقرب لنا هذه الصورة بشيء يحدث أملنا فى الدنيا .. فيشبه هذا الازدحام بالجراد .. عندما يأتى يكون هناك ازدحام رهيب .. بحيث لا تستطيع أن تميز بينه كأفراد .. بل يكون كأنه غمامة لا تستطيع أن تميز بين فرد وآخر .. ويحجب الازدحام الشمس ، ويصبح الأفق مظلماً .. ولا أحد يستطيع أن يميز فى وسط الزحام .. بل أفواج تلو أفواج .. هذه إحدى صور يوم الحشر .

والناس سيخرجون من نفس الأرض التى دفنوا فيها .. وبعد خروجهم .. يساقون إلى أرض الميعاد .. فتتبدل السموات غير السموات .. والأرض غير الأرض .. مصداقا لقوله تعالى :

وجاء يوم القيامة

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾

(سورة ابراهيم - الآية ٤٨)

.. وهذا القول لا يعارض قول الله سبحانه وتعالى :

﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾

(سورة الاعراف - الآية ٢٥)

لأن الناس سيخرجون من هذه الأرض .. سيعثون منها .. ثم بعد ذلك يساقون إلى أرض الميعاد التي سيتم فيها الحساب .. والأرض التي نعيش عليها هي معدة للحياة الدنيا حتى لحظة البعث .. ومدخر فيها أقوات البشر وأرزاقهم .. ولأنه في الحياة الآخرة تنتفى الأسباب .. لا تصبح هذه الأرض التي نعيش عليها صالحة .. فقد أدت مهمتها في استيعابها الحياة الدنيا .. ثم انتهت هذه المهمة بيوم البعث .. ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى بعد أن يخرج الانسان إلى أرض الميعاد .. فإن تلك الأرض التي كان مطمورا فيها أسباب الحياة .. ومطمورا فيها أقوات البشر انتهت مهمتها .. فالرزق في الآخرة سيأتى من الرازق مباشرة . وليس بالأسباب ..

وجاء يوم القيامة

هل سنخرج ونمضى؟!

ولكن هل سنخرج ونمضى هكذا بدون أن نكون غايتنا محددة . .
وهل كل واحد فينا يستطيع أن يذهب إلى أى مكان يريد على
هواه . . هذا يتأخر وهذا يتقدم . . وهذا يذهب يمينا ، وهذا يذهب
يسارا . . وهذا إلى الخلف . . وهذا يزاحم من الخلف ليتقدم
الصفوف .

لن يحدث هذا أبدا . . فلقد انتهت أهواء النفوس ورغباتها . .
وأصبح كل واحد منا خاضعا لأمر الله مباشرة . . لقد انتهى الاختيار
في افعل ولا تفعل . . انتهت فترة الامتحان . . ولم يعد أحد قادرا
على ألا يفعل إذا قال الله افعل . . أو أن يفعل إذا قال الله
لا تفعل . . فهذا الاختيار كان ممنوحا للبشر في الحياة الدنيا
لحكمة . . وهو أن يكون كل انسان شهيدا على نفسه . . وان يختار
الانسان طريقه بإرادته ليكون الحساب عدلا . . ولكن هذا انتهى
اليوم . فلم يعد لأحد حرية ليختار ما يريد . . بل أصبح الأمر كله
لله .

انظر إلى دقة الأداء القرآنى فى قوله تعالى :

﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ۖ ﴿٢١﴾ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ ۚ

(سورة ق - الآية ٢١)

.. ما هو السائق؟ .. السائق هو الذى يسوق الغنم إلى

وجاء يوم القيامة

المرعى .. ومكانه دائما خلف الغنم حتى يصحح مسارها .. فإذا انحرفت يمينا أسرع هو ليعدل مسارها .. وإذا انحرفت يسارا أسرع ليعدل مسارها .. إذن لكل انسان من يسوقه إلى مكانه يوم القيامة .. يسوقه إلى أرض الميعاد ، إلى الحساب .

المؤمن الذى عرف أن مصيره النعيم سيمضى وهو مسرور مبتسم .. ولكن الكافر الذى عرف أن مصيره إلى النار .. كلما توقف فإن هذا السائق الذى ورائه يدفعه إلى الأمام إذا حاول أن يتجه إلى أى اتجاه آخر .. فإن هذا السائق سيدفعه إلى مساره .. لأنه لا يقوده ، أى لا يمشى أمامه .. ولكنه يسوقه ، أى يمشى خلفه ، حتى لا يفلت منه ، ويكون أمام نظره دائما .. حتى إذا حاول أن يقف أو يتوقف يدعه دعا إلى أن يوقفه فى مكانه .

أما معنى قول الله سبحانه وتعالى « وشهيد » .. فإن الانسان يكون معه شهيد من نفسه ، وشهيد من صحيفة عمله .. بل ان جوارحه تشهد عليه يوم القيامة .. مصداقا لقوله تعالى :

﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٢٤)

(سورة النور - الآيات ٢٤)

.. إذن فكل انسان سيكون معه كتابه ، ومعها الشاهد عليه .. ويقف الناس لرب العالمين ..

وجاء يوم القيامة

وعرضوا على ربك صفا

وحينئذ يبين الله سبحانه وتعالى لنا :

﴿ وَعَرِّضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ ﴾
(سورة الكهف - الآية ٤٨)

وهنا يلفت انتباهنا قوله تعالى (صفا) .. هل سيقف الخلق جميعا من عهد آدم إلى يوم القيامة صفا واحدا ؟ .. وكم سيبلغ طول هذا الصف ؟ .. وأى مكان يتسع لكل هؤلاء الخلق من بدء الخليقة حتى نهايتها ؟

نقول إن المعنى أن يكون ذلك .. وأن قدرة الله تستطيع أن تخلق المكان .. وأن كل هؤلاء جميعا يقفون صفا واحدا .. والله قدرته لا تفوقها قدرة ، وكونه بلا حدود .

وقد يكون المقصود من الآية هو أن لن يفلت واحد من الله سبحانه وتعالى .. ذلك أنك إذا أوقفت الناس أمامك صفوفًا .. فإن الذى تراه وتلاحظه جيدا ، وتراقب كل حركاته ، هم الموجودون فى الصف الأول .. أما أولئك الموجودون فى الصفوف : الثانى والثالث والرابع والأخير ستكون ملاحظتك لهم أقل ، بحيث يستطيع أى واحد منهم أن يتوارى فيمن هم أمامه .. ويفعل شيئا لا تراه أنت .. والله سبحانه وتعالى يريد أن يلفتنا إلى أن أحدا من خلقه لن يستطيع أن يفلت ، ولو ثانىة ، من مراقبة الله له .. وكأنهم جميعا واقفون صفا

وجاء يوم القيامة

واحدا .. لا يمكن لواحد منهم أن يتواري في شيء .. لأن كلا منهم لن يستطيع لا الإفلات ، ولا حتى مجرد الاتيان بحركة ولن يتجاوز أحد منزلته .. بل سيلزم مكانه في الصف .. مكانه الذي حدد له بعمله في الدنيا .. بالطاعة واتباع منهج الله .

كما خلقناكم

ومعنى قوله تعالى :

﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾

(سورة الكهف - الآية ٤٨)

ان الحياة التي نثرت في أزمان مختلفة عادت لأصحابها في هذا المكان ..

﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ﴾

(سورة هود - الآية ١٠٣)

ومعناها أيضا أنكم تركتم كل ما كان لكم في الحياة الدنيا من مال وجاه وعزة وعزوة .

﴿وَعَرِضْهُنَّ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾

(سورة الكهف - الآية ٤٨)

وجاء يوم القيامة

.. بدون أى قوة تمنعكم منا .. أو عصابة تدافع عنكم .. أو مال يشفع لكم .. وليس معكم شفعاؤكم الذين كنتم تعتقدون فى الحياة الدنيا أنهم سينفعونكم فى هذا اليوم .. ولا آهتكم الذين عبدتموهم من دون الله .

والمعروف أن كل إنسان فى الحياة الدنيا قد يكذب على نفسه .. فقد يعتقد زيفا فى أن هناك من سينفعه ، أو سينقذه من العذاب يوم القيامة .. وقد يعتقد زيفا أنه قد يستطيع أن يفلت ، أو أن عذاب الله سيكون يسيرا عليه ، ثم بعد ذلك يدخل الجنة .. أو قد يقول نؤجل التوبة حتى أكبر ، ولكن بعد ذلك لا يمهله الأجل .. أى أن كل انسان قد يكذب على نفسه فى امتدادات الأمل .. وهذا حادث فى الحياة الدنيا .. فكل انسان لديه آمال كثيرة قد لا تتحقق أبدا .. ولكنه يعيش على أساس أنها ستتحقق .. ولكن هذا معناه الأمل الكاذب .. أى الأمل الذى لن يتحقق .. ولكن إذا أصبحت المسألة واقعا .. حينئذ لا يكون هناك أمل .. بل يصبح هناك واقع فقط ، كما سيحدث فى الآخرة .

وإذا أردنا أن نضرب لهذا مثلا ، والله المثل الأعلى . نقول : هب أن طالبا أخذ يبنى نفسه بالأمل الكاذب .. ويقول لنفسه أنه ليس من الضرورى أن أحضر محاضرة ؟ فأنا فاهم .. وليس من الضرورى أن أسمع الأستاذ . فأنا سأقرأ الكتاب .. ويظل هكذا إلى أن يأتى يوم الامتحان فيجد نفسه راسبا .

وجاء يوم القيامة

هكذا الانسان في الحياة الدنيا .. يقصر في تطبيق منهج الله فيقول : أنا لن أصلى اليوم ، ولكنى سأصلى غدا .. لن أؤدى الزكاة هذا العام ، ولكنى سأؤديها في العام القادم .. ويظل هكذا يهمل في تطبيق المنهج إلى أن يأتيه الأجل .. حينئذ يجد نفسه أمام الحساب ، وأمام الجزاء ، بدون أن يكون قد استعد لهذه اللحظة .. بل غرته الأمانى في حياته الدنيا .

الشیطان الذى استغل الانسان ، وقعد له فى كل طريق مستقيم . ووسوس له فى الدنيا .. وزين له أن يترك الصلاة اليوم على أساس أنه سيصلى غدا .. وأن يترك الزكاة إلى العام القادم .. إلخ .. يأتي يوم القيامة فيحاول أن يهرب من المسئولية .. فيقول انه لم يكن له سلطان على عباد الله ليقهرهم على المعصية .

والسلطان إما أن يكون قوة مادية تقهر .. ذلك بأن أقيد إنسانا ثم أقوده إلى حيث أريد .. أو أقيده ، ويحمله أعوانى إلى المكان الذى أريده .. أو يكون السلطان هو سلطان الحجة .. بحيث يقنع الانسان ليفعل ما يريده الشيطان .. إذن فالسلطان إما قوة قهر افعل بها أنا ما أريده بك .. أو سلطان حجة وإقناع يجعلك أنت تفعل ما أريده ، ولكن باختيارك .. والشيطان لم يعط سلطان القوة ، ولا سلطان القهر .. أى أن الشيطان ليس عنده حجة ليقنع . وليس لديه سلطان قوة ليقهر .. ولكنه وجد فى داخل الانسان هو ورغبة للمعصية فزينها له .. فلا يقول أحدكم اليوم : انه مقهور لأن الشيطان لا يستطيع أن يقهركم على المعصية ، أو حتى يقنعكم بها ..

وجاء يوم القيامة

وكل إغواء الشيطان للنفس البشرية ، هو شهوات هذه النفس التي تريدها ، يزينها لها .

ودعوى الشيطان كاذبة .. ونحن نعرف أنها كاذبة .. وقد بين الله سبحانه وتعالى ذلك في إغواء الشيطان لآدم .. وقد قال الشيطان لآدم :

﴿ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةٍ آخُلْدٍ وَمُلْكٍ لَا يَبَلَىٰ ﴾

(سورة طه - الآية ١٢٠)

.. أى أنه وعده بالخلود والمال الذى لا يفنى .. ولم يأخذ آدم إلا المعصية والطرده من الجنة .. ولكن رغم اننا نعرف كذب الشيطان .. فإن إغواءه يصادف هوى فى نفوسنا فنصدق .. ويقول الشيطان فى هذا الموقف الذى تخلت فيه الدينا عن الانسان العاصى ..

﴿ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتم بِمُصْرِخِيَّ ﴾

(سورة ابراهيم - الآية ٢٢)

.. أى أن الشيطان يقول : أنا لا أستطيع أن أنجيكم من العذاب اليوم .. ولا أنتم تستطيعون أن تنجونى منه .. لأن الصراخ معناه طلب النجدة من مصيبة لا يقوى الانسان على مواجهتها بمفرده . فإذا شب فى بيت إنسان حريق .. فلما أن يستطيع أن يطفئه بنفسه ،

وجاء يوم القيامة

فلا يصرخ طالبا النجدة ، وإنما يقوم بإطفاء الحريق .. وأما إن كانت النار أقوى منه ومن قدراته ، فإنه في هذه الحالة يصرخ طالبا النجدة .. لأنه يواجه حدثا أقوى من قدراته .

وإذا هاجم الانسان لص ، فإنه إذا كان يقدر عليه واجهه .. أما إذا لم يكن يقدر عليه .. كان يكون اللص أقوى منه .. فإنه في هذه الحالة يصرخ طالبا النجدة .

حين يسمع الناس الصراخ ، فهم نوعان : نوع لا يجد في نفسه المقدرة ، فلا يذهب إلى الصارخ لينجده .. ونوع آخر يجد في نفسه المقدرة فيذهب وينقذه ، وحينئذ يقال : أصرخه فلان ، أى أزال سبب صراخه .

ولكن الشيطان يوم القيامة لا يستطيع أن يصرخ أحدا .. لا يستطيع أن ينقذ أحدا من العذاب .. ولا يستطيع أحد أن يصرخه ، أى ينجيه من العذاب .. يقول الشيطان للعاصين .

﴿ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ ﴾

(سورة ابراهيم - الآية ٢٢)

وخشعت الأصوات للرحمن

ولهذا يعطينا الله سبحانه وتعالى صورة دقيقة يوم الحساب فيقول :

﴿ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾

(سورة طه - الآية ١٠٨)

ولقد ألفنا في الدنيا انه ساعة أن يكون هناك حساب أو محاسبة ..
فإن الأصوات تعلو .. وكل واحد يجادل بقوته وصياحه .. كذلك
ألفنا أن الانسان ذا القوة والنفوذ على الصوت دائما .. ومعنى
علو الصوت هنا أنه يستطيع أن يحقق ما يريد .. ذلك هما المعنيان
المادى والمعنوى لأن تقول : فلان صوته عال .. وفى أحيان كثيرة
تقول سنرى أيا منا أعلى صوتا ، أى أكثر قدرة على تحقيق ما يريد .

وعلو الصوت المادى يبين أن صاحبه قوى ، أو كما يقولون
(مسنود) .. فالانسان يعلو صوته عندما يحس بالقدرة .. ولكنه إذا
كان مسكينا مغلوبا على أمره ، فإنك تراه يقف ذليلا لا يستطيع صوته
أن يتجاوز أمثارا قليلة .

فلو أخذنا علو الصوت على أساس مادى .. أى أنه يمثل قوة ساعة
المجادلة أو المحاسبة .. أو أخذناه على أساسه المعنوى .. أى أنه يمثل
القدرة على قضاء ما يريد .. فكلا الأمرين سيختفى فى الآخرة ..
فلا يستطيع انسان أن يعلو بصوته على غيره مهما يكن هذا الانسان
قويا فى الدنيا ، والآخر ضعيفا فيها .. لأن ارتفاع الصوت إعلام

وجاء يوم القيامة

بمدى ظهور ذلك المستعلى بصوته على الآخر .. إذن فستكون هناك مساواة كاملة .. فلا يوجد قوى دنيوى يستطيع أن يعلو بصوته على ضعيف دنيوى .. ولا سيد يستطيع أن يعلو بصوته على من كان يستعيدهم أو يسيطر عليهم ..

وهكذا تخشع الأصوات كلها ، فلا يوجد تمييز دنيوى بين الناس . بل تختفى كل الميزات فى الآخرة ، ونصبح جميعا مستاوين .. أمام الله سبحانه وتعالى .

ويقال : خشعت الأصوات من هول الموقف أمام الله .. ذلك أننا حين نقف أمام الله منتظرين الحساب .. فإن هول الموقف يجعل الأصوات تخشع .. ونحن فى الدنيا حين نقف أمام رئيس دولة ، أو حاكم .. فإن كنا نريد أن نتحدث مع بعضنا البعض ، نتحدث همسا ، أو بصوت خافت مناسب للموقف الذى نحن فيه .. فكيف إذا كان الوقوف بين يدى الله .. حينئذ فى هذه الحالة لا يجرؤ ملوك الأرض ، وأعتى العتاة فيها وجابرة على النطق إلا همسا .

هل سيحدث كلام ؟

ولكن هل سيكون هناك كلام وحديث بين الناس يوم القيامة ؟ .. الجواب عن ذلك : نعم .. ولذلك سمي يوم القيامة . يوم التناد حيث ينادى بعض الناس أولئك الذين أضلّوهم فى الحياة

وجاء يوم القيامة

الدنيا .. طالبين منهم أن يدفعوا عنهم العذاب ، أوشيثا من العذاب ، مصداقا لقوله تعالى :

﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴾ (١٦٦) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسْرَتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾

(سورة البقرة - الايتان ١٦٦ و ١٦٧)

.. وقوله سبحانه وتعالى :

﴿ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعِفَتُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ؕ قَالُوا لَوْ هَدَّيْنَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرٌ عَنَّا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحْصٍ ﴾

(سورة ابراهيم - الآية ٢١)

ومن هنا نعلم أنه سيكون هناك جدل بين الكفار وبين الذين اتبعوهم .. وأن الكفار سيتبرأون من الذين اتبعوهم .. بل انه سيكون هناك حوار بين المؤمنين وغير المؤمنين ، وهم يساقون إلى أرض الميعاد .. ينبئنا به القرآن الكريم في قوله تعالى :

وجاء يوم القيامة

﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرركم الأمانى حتى جاء أمر الله وغرركم بالله الغرور ﴾ ﴿١٤﴾

(سورة الحديد - الأيتان ١٣ - ١٤)

بل انه سيكون هناك حوار أو كلام بين أهل الجنة وأهل النار
مصادقا لقوله تعالى :

﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ ﴿٥٠﴾

(سورة الأعراف - الآية ٥٠)

وكل هذا ستعرض له بالتفصيل في الأجزاء القادمة من هذا الكتاب إن شاء الله ، ذلك أننا في هذا الفصل نحاول أن نعطي صورة لوقوف الناس بين يدي الله قبل الحساب .

ولتكتمل الصورة لابد أن نلقى الضوء على بعض الجوانب بالنسبة لما سيحدث في هذا اليوم العظيم . . يقول الله سبحانه وتعالى :

وجاء يوم القيامة

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾

(سورة آل عمران - الآية ١٠٦)

أى أن وجوه المؤمنين ستكون متألثة بالنور ، بيضاء مليئة بالسرور .. بينما تكون وجوه غير المؤمنين مليئة بالانقباض ، سوداء مما ينتظرها من الهم والعذاب .. ويوضح الصورة أكثر قول الله سبحانه وتعالى :

﴿خَشِعِينَ مِنْ الدَّلِ﴾

(سورة الشورى - الآية ٤٥)

وذلك يرينا كيف أن الكفار والعاصين في يوم القيامة سيشعرون بذل رهيب بعد أن كانوا في الدنيا يملؤهم الكبر والكبرياء بما كانوا فيه من نعمة وجاه .. ولكنهم في يوم القيامة ذهبت عنهم وسائل كبريائهم الدنيوى ، وانتهت تماما وسائل صلفهم ، ووسائل غرورهم ، وأصبحوا أمام الله لا تحيط بهم إلا ذنوبهم .. وهكذا يغشى وجوههم الدل .

يوم تولون مدبرين

ولتصوير ما سيحدث بصورة تقربه إلى الأذهان حتى لا يأتى أحد مجادلا يوم القيامة .. ويقول : يارب لو أنك أخبرتنا بصورة

وجاء يوم القيامة

ما سيحدث لكنا آمنة .. ولكنك يارب لم تخبرنا .. يعطينا الله سبحانه وتعالى صوراً كثيرة لهذا اليوم في قوله سبحانه وتعالى :

﴿ يَوْمَ تُؤْلَوْنَ مَذْزَبِينَ مَا لَكُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ﴾

(سورة غافر - الآية ٣٣)

.. ويقول الحق جل جلاله ..

﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴾

(سورة التكويد - الآية ٦٦)

.. ومعنى ذلك أن غير المؤمنين حين يرون هذا الهول الكبير يتمنون أن يهربوا من الله سبحانه وتعالى .. ولكن هل يستطيع إنسان مهماً هرب . أن يهرب من الله ؟ .. وإلى أين يذهب ؟ والمملك كله ملك الله .

ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴾

وتكتمل الصورة أكثر بقوله تعالى :

﴿ وَيَوْمَ يَعْضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيِّنَنِي أَلْتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ

سَبِيلًا ﴾ (٢٧)

(سورة الفرقان - الآية ٢٧)

وجاء يوم القيامة

.. أى أن الله سبحانه وتعالى يكون قد بين لنا الفرق بين صورة الظالم وصورة الكافر .. فالظالم هو الذى آمن . ولكنه ظلم نفسه بالمعصية .. ولذلك يعرض على يديه من ندم ، لأنه يعرف أن عذابا شديدا ينتظره .. أما الكافر فيعرف أنه خالد مخلد فى النار ويرى النار وهوها .. وحينئذ يتمنى لو أنه لم يكن مخلوقا من البشر .. بل كان جامدا لا يملك فكرا ولا إرادة ، لأن فكره أضله .. وإرادته قادتة إلى النار ليخلد فيها .. وهو يعرف أنه لن يخرج من النار .. وحينئذ يتمنى لو أن لديه ملء الأرض ذهبا ، ومثله معه ، فهو مستعد لأن يضحي بهذا المال كله لينجيه من العذاب .

وهذه الصورة تعطينا مدى استعداد الانسان لأن يفدى نفسه من العذاب بأى شيء .. ذلك أن المال هو العزوة فى الدنيا .. والانسان يحرص على ماله فى الدنيا ، ويحرسه ، ويدافع عنه أحيانا بحياته .. ولكن هذا المال الذى له هذه القيمة الكبيرة فى الدنيا يكون فى الآخرة عديم القيمة . والله سبحانه وتعالى يريد أن يوضح لنا هول العذاب وتأثيره على نفوس البشر ، حتى إن الانسان يكون مستعدا أن يضحي بأى شيء .. بماله وبأولاده وبكل ما كان يعتز به فى الحياة الدنيا ، لينجو فى الآخرة .

ومع أن هذه الصورة قد أعطيت لنا فى القرآن الكريم ، وقرأناها ونحن فى الحياة الدنيا .. وكان من الواجب أن تجعلنا نفرح ونفر إلى الله ونتبع منهجه .. ولنتصق بهذا المنهج حتى ينجيننا الله من

وجاء يوم القيامة

العذاب ، فإن كثيرا من الناس يسمع وصفا لهذه الصورة في القرآن الكريم .. فلا يهتز قلبه ، لأن العذاب محبوب عنا في الدنيا .. ولو أن واحدا منا رأى عذاب الآخرة لامتنع عن كل المعاصي الدنيوية ..

يبقى بعد ذلك استكمال الصورة التي رسمها القرآن الكريم بالنسبة ليوم القيامة .. فالله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ۝ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ۝ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ۝ ﴾

(سورة طه - الايتان ١٢٥ - ١٢٦)

وقوله تعالى :

﴿ فَالْيَوْمَ نَنَسُّهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا ۝ ﴾

(سورة الاعراف - الآية ٥١)

وقول الله سبحانه وتعالى « أعمى » يمكن أن يكون معناه العمى الدنيوى ، لأن الكافر يوم القيامة ستحيط به ظلمات ذنوبه ، فلا يرى شيئا ويمشى يتخبط .. ويمكن أن يكون معناه أيضا العمى المعنوى ، وذلك من سوء ما ينتظره يوم الحساب .. يتخبط كالأعمى تماما .. فأحيانا يأتيك خبر في الدنيا ، ويكون هذا الخبر سيئا ، فتقول أنا لم

وجاء يوم القيامة

أعد أرى شيئا وتمشى وأنت تتخط . . ومعناه أيضا أن المسائل تختلط على الكافر بسبب هوى النفس الذى كان يتبعه ، فلا يستطيع نظره أن يميز شيئا ، فيمشى وهو يتخطط .

واستخدام الله سبحانه وتعالى لكلمة « ننسأهم » ليس معناه أن الله سينسى الظالم فى الآخرة . فلا يحاسبه . . ولكن الله ينسأه من موجبات رحمته فلا يرحمه . . ويظل الكافر والظالم يستغيثان . . ولكن الله لا يستمع إليهما . . كذلك ينسى الله سبحانه وتعالى الكافر من موجبات عفوه يوم القيامة ، فلا يعفو عنه أبدا ، ويظل خالدا فى النار . . ذلك أن هؤلاء الناس تابوا على منهج الله فى الدنيا ونقضوه ولم يعملوا به . . فكيف يريدون عفو صاحب المنهج فى الآخرة ؟
وقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾

(سورة الزمر - الآية ٦٩)

بأنه لن تكون هناك شمس ولا نجوم ولا أقمار ، ولكن نور الله سيأتى مباشرة إلى خلقه ينير كل شىء .

إلى هنا ونصل إلى نهاية هذا الجزء من الكتاب - على أن يكون الجزء الثانى ، إن شاء الله ، عن ساعة الحساب . . وكيف سيتم ، والله يوفقنا لما فيه الخير والسداد .

المحتويات

صفحة

| | |
|-----|--|
| ٥ | ■ الفصل الأول : معنى القيامة |
| ٣١ | ■ الفصل الثانى : نهاية الحياة |
| ٥٩ | ■ الفصل الثالث : قانون ما بعد الحياة |
| ٨٣ | ■ الفصل الرابع : الله .. والزمن |
| ١٠٧ | ■ الفصل الخامس : علامات الساعة |
| ١٢٩ | ■ الفصل السادس : إنقلاب فى الموازين |
| ١٥٥ | ■ الفصل السابع : ولاء يوم القيامة |

رقم الإيداع : ٩٣ / ٣٣٢٩

الترقيم الدولى / I. S. B. N.

5 - 0175 - 08 - 977